محمد الحوادي

حتّى لَا تتكرر.. الحُرُوبُ الصَّلِيبِيَّة

رؤية استشرافية لإرهاصات مُتَنامِية

حتى لا تتكرر.. الحروب الصليبية

رؤية استشرافية لإرهاصات مستقبلية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولي 2016

رقم الإيداع

05410/2016

الترقيم الدولي

978-9954-690-32-1

طوب بريس

للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان :16. زنقة كلكوتة ،العيط. الرباط

toppress2@gmail.com

د. محمد الجوادي

حتى لا تتكرر.. الحروب الصليبية

رؤية استشرافية لإرهاصات متنامية

إهداء

إلى الصديق الكريم

الدكتور بديع ذكرى

هذا الكتاب

نقدم في هذا الكتاب مجموعة من الرؤى الأصيلة التي لم تعهدها أدبياتنا السياسية والاستراتيجية متاحة بهذا القدر من وضوح الفكرة ، وأصالة التاريخ . نفعل هذا بتجرد يهيئ لنا ألا نؤثر أو نستسهل المضي في التيار الضامن للاحترام والترديد والتقدير مفضلين أن نغرد في حرية هيأها لنا صباح الربيع العربي الباكر ويحميها نهاره الزاهر ولا يخفيها أو يخيفها ليله القصير .

نستعرض في هذه الفصول الأسس المنطقية والتجارب الواقعية التي تتضافر على مساعدة الحضارة الانسانية على تجاوز دروب الطريق الملح في دعوته الأكثر إلحاحًا إلى تكرار مآسي الحروب الصليبية بصورة أو أخرى ، و نستعين في هذا الاستعراض المستقصي بكل ما يمكننا من أن نضيئ به طريق الآلام إضاءة تكفل الخلاص من تهوراته وعثراته على حد سواء .

❑

نناقش في فصول الباب الأول بعض الملامح الاستراتيجية الجديدة معددين ثلاثة توجهات فارقة أولها هو سيطرة ملمح عنصر جديد لم يكن له وجود من قبل في علوم الاستراتيجية وهو ملمح الانسيابية، وثانيها هو تنامي دور التعقل ومراجعة الخطوات بما لا يمنع من إعادة صياغة بعض جوانب الاستراتيجية في أثناء إنفاذها أو تنفيذها، وثالثها هو ميل القوة العالمية الكبرى أي الولايات المتحدة إلى التفكير في إعدام دور الأمم المتحدة حتى إن بقي الكيان رمزًا لسبعين عامًا من التآمر على قوى صاعدة كالإسلام وألمانيا واليابان ومن قبلها الصين الشعبية .

وفي الباب الثاني نناقش جدلية الحرب والسلام لا من حيث هي ثنائية واجبة ولكن من حيث هما مكونان متكاملان فيشرح أول فصول هذا الباب بتفصيل معقول ما أذهب

إليه من أن للسياسة روح وحياة وأن الروح هي الحرب، والحياة هي الدبلوماسية ، ويشخص ثاني هذه الفصول الحالة التي تصبح فيها الحرب بمثابة الخيار السلمي الوحيد أما ثالث الفصول فيطبق هذه المعطيات على ما تنبئ به حدود الصراع في الشرق الأوسط .

ننتقل في الباب الثالث إلى مناقشة مدى صواب التحولات الأمريكية و تبريراتها فنذهب في أول فصوله إلى أن أمريكا باتت تبحث عن قطبية جديدة في عصرها وهي تريدها قطبية غير ملزمة بالاستقطاب ولا ملتزمة به .

وفي ثاني فصوله نستعرض بعض خيارات التجاهل والتصعيد والتحايل في السياسة الدولية، أما الفصل الأخير من الباب فيعرض بوضوح معقول عددًا من الرؤى الغائبة في صراع الثورات المضادة المتضادة وهي بلا مبالغة تعبر بكل أصالة عن نظرات وتأملات مختلفة عن الشائع مع أنها أقرب للواقع.

❑

ينطلق البابان الرابع والخامس إلى بيت القصيد في الصراع وهو الإسلام وحركته واستنهاضاته، وهو لهذا يتخذ للباب الرابع عنوانًا موحيًا : الشماعة الإسلامية ويناقشها من ثلاثة جوانب: فيناقش في الفصل العاشر من هذا الكتاب سؤالًا لم يطرح من قبل بهذا الوضوح وهو : لماذا يعلق الغرب إحباطاته في رقبة المسلمين؟

وفي الفصل الحادي عشر يناقش سؤالًا آخر لا يقل وضوحا: ماذا تنتظر المجتمعات الإسلامية من الغرب المستنير ؟

ويفعل الشيء نفسه في الفصل الثاني عشر الذي يستعرض بعض ملامح التوافق المجرّب مع المجتمعات الغربية وحياتها اليومية .

أما الباب الخامس فيقدم ثلاثة فصول مهمة في إطار الحديث عن الأسباب التي دفعت الغرب إلى تبني قرارات سياسية غير مجدية وفي هذا الإطار يناقش الفصل الثالث عشر فرضية خطورة الأسلمة بطرح مختلف تمامًا عما هو متداول من قبل لكن الفصل الرابع عشر يناقش بعض الحدود الخطرة في الفكر الإسلامي المعاصر وكذلك يفعل الفصل الخامس عشر والأخير حين يستعرض بعض التصورات الخطرة لعلاقات الفكر الإسلامي بالآخرين.

❑

وإذا كان لي أن أصف هذا الكتاب في جملة واحدة فإني أقول إن هذا الكتاب هو بعض ما هداني الله إليه مما اجتهدت كثيرا في طلبه .

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدني برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يهديني سواء السبيل.

والله سبحانه وتعالي أسأل أن يذهب عني ما أشكو من ألم ووصب وقلق، وأن يحسن ختامي، وأن يجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاه.

والله سبحانه وتعالي أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني.

والله سبحانه وتعالي أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغني، والبر والتقى، والفضل والهدي، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل الكبير، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وشك الأطباء، وتساؤلات الباحثين.

والله سبحانه وتعالي أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن يوفقني لأن أتم ما بدأت، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعّمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي - بالطبع وبالتأكيد- كثيرة ومتواترة ومتنامية، فله سبحانه وتعالي - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل.

د. محمد الجوادي

الباب الأول
ملامح إستراتيجية جديدة

الفصل الاول
عصر الإستراتيجيات الانسيابية

١

كانت ضرورات الأشكال الهندسية تفرض نفسها بقوة في التصميم، وكان هذا الفرض ظاهرًا بكل وضوح في تصميمات السيارات والمباني والسطوح حتى جاء عصر التكنولوجيا العالية (على نحو ما يسمى الآن في أدبيات الهندسة) فأتاح للإبداع الفني أن ينطلق بصورة اتخذت من الأشكال الهندسية الجامدة بداية بدلًا مما تعود الناس عليه من أن تكون هذه الأشكال هي النهاية.

وهكذا أصبح الهيكل الخارجي للسيارات -على سبيل المثال- يدور في إطار الأشكال المستطيلة، وإن لم يكن فيه من المستطيل إلا حدوده الجوهرية من حيث الأضلاع الأربعة التي يتساوى كل اثنان منها ويتوازيان، بينما الخطوط نفسها متعرجة غير مستقيمة لكن الخط المستقيم الذي تتحرك حوله لا يزال موجودًا بطريقة تدركها البصيرة ويستكنهها البصر بيسر.

وأصبح اللجوء إلى هذا التحور مدعاة لافتخار العقل البشري بقدرته على توظيف المتغيرات الهندسية والفراغية من أجل تحقيق مكاسب دينامية لا يستهان بها كتقليل مقدار المقاومة الناشئة عن الرياح وما يترتب على هذا التقليل من الحد من استهلاك الطاقة اللازمة للتشغيل أثناء الانطلاق وفي بدايته أيضًا.

٢

مع الزمن لم يعد هناك محل للخوف من صعوبة إعادة تشكيل هذه الأجزاء المتموجة التي حلت محل الأجزاء القديمة ذات الشكل الثابت؛ فلم تعد الحاجة الملحة لإعادتها إلى صورتها الأصلية مرتبطة بمعالجة يدوية أو إصلاح جزئي وإنما تحولت الصورة إلى إعادة إنتاج كاملة بتكلفة تقل كثيرًا عن تكلفة المعالجات القديمة التي كانت تتراوح بين الترميم والإصلاح في إطار من سياسة إعادة التشكيل وصولًا إلى الشكل الكلاسيكي أو إلى شكل آخر مرتبط به في جوهره.

وقد تواكب هذا المعنى مع حركيات التجارة العصرية ذاتها في ظل سيادة مفهومين حاكمين هما مفهوم الإنتاج الكثيف والهندسة العكسية الموظفة للنمطية المكتملة من ناحية أخرى.

وبلا أدنى مبالغة فإن السياسة الدولية بدأت في عاميها الأخيرين تنتهج كل تفصيلات هذا النهج من المرونة الكاملة في التوجه إلى سياسات متموجة، بل وعلى درجات عالية من التموج مع حفاظها على خطوط أساسية من الانتماءات الأيدولوجية والعرقية والذرائعية.

ومن الإنصاف هنا التذكير بأن القول بهذا الذي أقول به قمين ألا يحظى بقبول فوري ممن تعودوا أن يخضعوا الفعاليات السياسية وتجلياتها الدبلوماسية لمنطق مكتمل البنيان والوضوح؛ لكنهم في ظل عجز مؤكد عن تفسير الفعل الآني قد لا يمانعون في مناقشة مثل هذا التفسير قبل أن يجدوا أنفسهم حيارى أمام ظواهر وتقلبات «أكروباتية» لا بد لهم من أن يجدوا لها تفسيرا بأدواتهم التقليدية ومعرفتهم السابقة الملمة جيدًا بأساسيات الصراع وتطوراته.

٣

وعلى سبيل المثال فإن العلاقات الروسية الأميركية في العامين الأخيرين لم تلتزم في لحظة واحدة بأي شكل من الأشكال المعهودة فيها على مدى تاريخ الدولتين، ووصل الأمر إلى حدود بدًا معها وكأن أميركا هي التي تستحث روسيا على إحراز الأهداف السهلة في الشباك الأميركية، أو كأنها تهديها على التوالي، فوزا سهلًا بلا مقابل في مناطق حيوية من قبيل أوكرانيا ومصر واليمن والخليج.

وعلى سبيل المثال أيضًا ومن زاوية رؤية مختلفة فإن الموقف الأميركي من الشعب السوري الذي لا يمكن وصفه إلا بالمهين صب بالتبعية وعن تعمد أميركي واضح في مصلحة الصورة الذهنية المنتصرة لروسيا وإيران.

وفضلًا عن افتقاد هذا الموقف الأميركي من الثورة السورية لأدنى درجات الإنسانية -أو حتى البراجماتية- فإن قياسات الأسطح المتموجة التي زودتنا بها التطبيقات التي تتعامل مع التكنولوجيا العالية كشفت لنا بكل وضوح وبعد تأمل عن أن مصلحة أميركا

في استنزاف السوريين وجيرانهم بالتبعية صارت تحقق لأميركا من الفائدة أكثر بكثير مما يحققه الوصول إلى حل.

٤

وقد بات واضحًا ما كنت أول مَنْ قال به من أن بقاء بشار يمثل لأميركا فوائد مطلقة، ويمثل للسوريين وحدهم الخسارة الفادحة فحسب، بينما يمثل للباقين ثنائية مضطربة من عوامل المكسب والخسارة، كما هو الحال مع تركيا وروسيا وإيران والسعودية وإسرائيل وأوروبا.

ولهذا السبب فإن أميركا تتموج بسياستها من أسبوع لأسبوع من خلال قياسات شيطانية لعوائدها النفعية المباشرة وغير المباشرة من تفاقم صراع إنساني أهمل ساستها البراجماتيون بعده الإنساني، وحولته سياساتهم إلى تجربة معملية قاتلة للبشرية.

ومن الإنصاف هنا أن نقول إن بعضًا من الدول الأخرى المتطلعة إلى مكانة دولية يشار إليها قد اقتدت بأميركا بدرجات كبيرة من الذرائعية المستندة إلى هذا النمط الفظ من التجارب المعملية غير الأخلاقية وغير الإنسانية أيضًا.

وعلى سبيل المثال فإن إيران صاحبة شعار الموت لأميركا، وصاحبة تعبير الشيطان الأكبر قد عادت بعد أربعين عامًا إلى تقاربها «الشاهنشاهي» الحميم مع الغرب بعد تجربة معلنة من التعاون المتنامي مع الروس، وبررت هذا لجمهورها المتحمس لولاية الفقيه بأنها أصبحت تدرك أن مصالح شعبها في هذا التوجه، ولهذا فإنها في رأي محبيها قد اتخذت الموقف المناسب في الوقت المناسب سواء كان هذا بالتفاتة أيديولوجية بارزة أو بانتفاضة براغماتية واضحة.

٥

وفي الإطار ذاته فقد كانت روسيا سابقة منذ عقدين في نفض يدها من أصدقائها بدرجة عالية من الغدر غير المتصور، وذلك حين سربت للغرب شفرات الدفاع الجوي العراقي في حرب الخليج الثانية، وحين سلمت لأميركا، يدًا بيد، كل المعلومات الخاصة بمنظومة الدفاع الجوي العراقية.

وقد وصل رد الفعل العربي تجاه هذه السلوكيات إلى درجة كبيرة من الاستياء المميت عند أنصار العراق وصدام وإلى درجة السعادة والشماتة المعلنة عند أعداء صدام، لكن أيا من هؤلاء وأولئك لم يرجع بذاكرته المجهدة للخلف ليتفهم أو ليعترف بالدوافع العبقرية في قرار السادات بطرد الخبراء السوفيات في ١٩٧٢م، وهو القرار الذي فاجأ الآخرين الذين لم يعرفوا أن السادات لم يفعل هذا إلا بعدما أدرك صحة ما أحسه من أن أسراره صارت كتابًا مفتوحًا أمام عدوه بفضل صديقه!

وقد كان الموقف الأميركي السوفياتي المتواطئ هو قمة الانسيابية الانتهازية والمبكرة في إستراتيجية مرحلة الحرب الباردة، وكاد هذا الموقف أن يقضي على مستقبل مصر.

٦

في مقابل هذا الفهم المستقصي فإن العالم المتعاصر مع الحقيقة أصبح ينظر بازدراء شديد إلى نموذج الخطوة المسرحية التي قام بها الانقلاب العسكري المصري موحيا لنفسه بأنه ينتهج سياسة التمحور مع روسيا على حساب أميركا مع ما هو معروف للجميع من أن أميركا تمتلك كل المفاتيح التي تجعل من العلاقات العسكرية المصرية الأميركية علاقات إستراتيجية لا يمكن لمصر الانقلابية ولا لداعمي الانقلاب في الخليج -ولا لمصر غير الانقلابية أيضا- أن تنتهكها لمصلحة فرنسا أو روسيا على الرغم من كل ما هو مقدر ومتواتر من تفهم أميركا العميق والكامل لحاجة فرنسا «الجادة» وحاجة روسيا «الحادة» إلى بعض من أموال الخليج تحت ستار تمويل أية صفقة لمنتجات عسكرية في إطار واضح «أو خفي» من المباركة الأميركية معلنة كانت أو غير معلنة!.

ومع هذا فإن أميركا الرسمية لاتزال ترحب ترحيبًا مهذبًا وكوميديًا بأية تصرفات مسرحية هوجاء توحي كذبًا بأن «التعاونات» الروسية مع الانقلابيين المصريين قد تطورت حتى تطرفت في صورة محاور وأحلاف!

وهي سعيدة بالطبع بوجود طراز متخلف من الانقلابيين يظن أن في وسعه أن يعيش -مع شعبه فقط- ذكريات الماضي ويسترجعها بأغنيات الزمن الجميل، بينما تدير أميركا الأمور عن بعد بالريموت، كما الطائرات بدون طيار.

وبينما دخلت روسيا والصين مع أميركا تحت مظلة مجموعة الثمانية فإن حلف قبرص

واليونان مع مصر (!!) لا يزال يقتصر في فعالياته على صورة تذكارية.

٧

وعلى الرغم مما يسجله التاريخ المعاصر من نجاح نمط هذه الاستراتيجيات الانسيابية التي انتهجتها إيران وروسيا كما انتهجتها أميركا بقدر أكبر من الانسياب والمرونة، فإن هذا التاريخ يسجل بكل وضوح أن قوتين أخريين هما تركيا (الأردوغانية) وألمانيا (الميركلية) قد انطلقتا في هذا الميدان بنجاح أكثر وثوقا، وأكثر أخلاقية، وربما تحقق نجاحها الواثق بفضل التزامه الأخلاقي الذي فاق بكل تأكيد الدرجات المحدودة في استراتيجيات إيران وروسيا والمعدومة في استراتيجية أميركا.

بالطبع فإن هذا النجاح الذي نلمح إليه لم يصل إلى درجات قصوى من الأخلاقية المنشودة في عالم يهفو بشدة وتعطش إلى سيادة القيم النبيلة لكن الأمر المؤكد هو أن هاتين الإستراتيجتين الناجحتين حققتا درجات متقدمة من الالتزام الأخلاقي تجاه شعوب قهرها حكامها، وشعوب أخرى قهرتها موجات الترصد والكراهية.

ولهذا السبب فقد كان رأي الجماهير تجاه الانقلاب التركي الفاشل (يوليو ٢٠١٦) مختلفا بشدة في جميع أنحاء العالم عن الآراء المقولبة التي كانت مافيا الإعلام العالمي قد أجادت إعدادها وبدأت إلقاءها، وحدث شيء شبيه بهذا في المشاعر الأولى والنهائية تجاه حادث ميونخ بكل مفارقاته المنقلبة من توقع إلى نتيجة كانت مريحة لأعصاب الإنسانية المعذبة بقولبة كاذبة.

تعقيبات

hossam maroc:

أعلم أن المقال جاء به الكاتب الفاضل لتوضيح الكيفية التي تنتهجها القوى الكبرى في المعاملة مع الدول الأخرى لكن العالم الإسلامي وإلى الآن ليس في ظرف يفرض عليه ممارسة منظور الإستراتيجيات الإنسيابية لأنه في مرحلة البحث عن الذات المفقودة بسبب الاستعمار الإمبريالي. ولهذا إذا كان لا بد لنا من هذه الاستراتيجية مع جانبها الأخلاقي أو انعدامه فعلينا أولًا التعامل في هذه اللحظة الحساسة بعدم الاهتمام بما تقوله الدول الجبارة ولنفعل ما نراه مناسب لمصير أمتنا حتى وإن كلف المزيد من هرطقات الآخرين.

حسان:

من الأسهل لنا متابعة مفهوم العار و الشعور بالخجل وتأنيب الضمير عند الشعوب وتأثير الدعاية والإعلام والثقافة فيها. بالنسبة لنا كعرب فإن الشرف والكرامة والمروءة والشهامة والنخوة والحفاظ

على السمعة هي قيم فرضتها طبيعة الحياة التي في معظمها ريفية و بدوية. وهي تختلف تمامًا عن ثقافة المدن والعواصم الضخمة حيث إن معظم الناس لا يعرفون بعضهم ولا تجمعهم عائلات أو قبائل، بل الذي يجمعهم هو تحصيل المال والالتزام بالقانون. بينما يقوم الإعلام بكل أنواعه بتشكيل مزاج الناس وقيمهم وأحاسيس ضمائرهم.

Dr Mohamad Qatu:

لقد أصبح واضحًا أن الأمة الاسلامية تعاني من قضايا خطيرة تهدد وجودها واستمراريتها كأمة تحمل رسالة عالمية ما لم تعالج هذه القضايا معالجة موضوعية. الحاجة ماسة اليوم لنظرة تفرز المعقول من غير المعقول في الخطاب الموجه للأمة من كل الأقطاب ذات التأثير لمعالجة قضايا التخلف المزمن والاستبداد والفساد والهزائم المتلاحقة . يجب التعرض لهذه القضايا وإبرازها والتركيز عليها لعلها تصبح محل اهتمام العلماء والمفكرين والباحثين وصناع القرار وللخروج من النفق المظلم الذي يبدو أن الأمة دخلت فيه ولا تستطيع الخروج منه.

فارس:

محور الاتفاق والاختلاف في العالم ما دون الثالث هو الحرب العالمية الثانية أمريكا وتوابعها وحلفاؤها سلبوا بدهاء كل مناطق النفوذ الروسي ثم بعد أن جردوهم من فتيل الخطر الاستراتيجي ضموهم إلى قوات المارينز الغير نظامية ، الواضح أن توجه أمريكا أوباما العسكري هو إدارة الحروب وليس القيام بها وهذا يعطيها مساحة أكبر للمناورة وتغيير الاستراتيجيات بل وللانقلاب مائة وثمانين درجة من حليف لعدو أو تنسحب من مربع الدعم لمقعد المتفرج وجبهات العراق واليمن وليبيا وسوريا خير دليل.

maserarabawi:

«استراتجية انسيابية غير مكيافيلية» بين الأخلاق ولمصلحة طيف من النسب المتفاوتة من غير المسلمين يتمركزون حول المصلحة ومصلحتهم فقط (المكيافلية) المسلم من يتمركز مع مصلحة الجميع وبهذه يؤكد أخلاق الإسلام «لا ضرر ولا ضرار». وحتي نكون ناجحين في إنجاز مصلحة للجميع (حتى الأعداء) يجب أن نتمسك بالعنصرين الأهم في الإسلام «العدل والتطوير » «استراتيجية انسيابية غير مكيافيلية» . والتطور يلزمه .

جمال:

فهمت مما قرأته أننا في عصر الإستراتيجيات المنافقة . سمعت مثل هذا الكلام مؤخرًا من صحفي تركي مدافع عن أردوغان بعد محاولة الإنقلاب . هذا الصحفي ردًا على سؤال في قناة أر تي الروسية كيف تسبون أمريكا والغرب وأنتم عضو في الناتو : فأجاب الصحفي التركي نحن نرد على النفاق بالنفاق ! هكذا وبكل وضوح ودون تلكؤ في الرد ! وفهمت أيضًا أن الإسلاميين خرجوا للعلن بالقول

إننا نمارس النفاق كبقية السياسيين .(الصحفي التركي اسمه بكير على ما أتذكر).

جلجامش:

إن روسيا تقوم عن علم أو غباء بتنفيذ ما تريده أمريكا في سوريا بالضبط ألا وهو إنهاك الأغلبية العربية السنية في سوريا وإبقاء بشار الأسد حامي حدود صهيون. ووالي فارس على الشام . .أما فيما يخص شفرات الدفاع الجوي. فهذا غير صحيح. لأن أسلحة العراق جد قديمة مقارنة بالتفوق التكنولوجي الغربي الهائل فلا حاجة. للأمريكان لشفرات منظومات قديمة.

إلى الأخ جمال. منذ مدة وأنا أريد أن أسألك ولكني أمنع نفسي ولكني أسألك الآن .إلى متى ستظل تغطي كراهيتك الطائفية بغطاء من العروبة والعلمانية الزائفة. . مع العلم أني عروبي أؤمن بالوحدة العربية وأؤمن بالعلمانية التي تبعد الكهنوت الذي يدعى سلطة الحكم الإلهي . فأنا مع إرادة الجماهير التي توصل حزبًا إسلاميًا أو قوميًا أو اشتراكيًا للسلطة فهذه هي الديمقراطية.

❑

الفصل الثاني
هل انتبهت القوى الكبرى إلى جدوى العقل؟

١

يمثل التفويق من التخدير الكلي أو النصفي ومن غياب الوعي إجراءً حيويًا يعرف قيمتَه كلُّ من مر بتجربة مصاحَبة مريض أجرى عملية جراحية أو خطوة تشخيصية شبيهة بالجراحة من حيث اقتحامها لجسد الإنسان بمشرط أو بدونه.

وتزداد هذه المعرفة قيمة وخطورة عند أولئك الذين يرون في الجراحة أسلوبًا حاسمًا لا يمكن للعقاقير أن تحقق ذات نتائجه، ومع أن الطبيعة (أو الفسيولوجيا) والعقيدة (بمعنى المعرفة المستقرة الموروثة) تجتمعان على أن «التفويق» -بما فيه من فعل إيجابي محدث- ضروري للحياة، فإنهما (أي المعرفة والعقيدة) تؤمنان أيضًا بأن هناك فعلًا آخر قد يغني عن فعل التفويق بما يتطلبه من عمل إيجابي محدث، وهو فعل الإفاقة الذي ينظرون إليه على أنه فعل ذاتي!!

ولا يمكن لنا الآن -مع ما تنامت إليه معرفتنا- أن نزعم أن الإفاقة «السياسية» فعل سلبي لأنها لا تتطلب جهدًا خارجيًا محدثًا، لكن الأولى بنا أن نقول إنها فعل إيجابي على الرغم من أنها لا تتطلب فعلًا خارجيًا، وهنا تثبت فكرة الذاتية الأوتوماتيكية في الفسيولوجيا البشرية جوهرَ الاختلاف بين الفعل التلقائي الصادر عن الشخص أو الشيء بذاته أو من ذاته، وبين الفعل الإيجابي الذي لا بد له من إحداث ليكسر أو ليسرع أو ليقلب الآلية الأوتوماتيكية على نحو ما هو الحال في هذا الفارق الشارح بين الإفاقة والتفويق.

٢

في الصراعات السياسية نرى هذه الآلية بحذافيرها ، ولعل سقوط المقاتلة الروسية في الحدود السورية التركية كان بمثابة مثل بارز على فعل الإفاقة المفيد، وذلك رغم معرفتنا المسبقة بأن الطبيب المفيق لم ولن يلقى الشكر على إنجازه بحكم العداوات التقليدية.

يسحبنا هذا التفكير مباشرة إلى التفكير فيما هو حادث الآن في نطاق الصراع الدولي على الشرق الأوسط؛ ومدى ما يحس به أولو البصيرة من حاجة ملحة إلى ظهور أحداث قارعة بالغة القوة، تكون كفيلة بوضع حد للتأثر بأنماط من القصور الفكري والإستراتيجي التي سيطرت -لأسباب متعددة- على صناعة قرارات القوى العظمى، حتى استنامت هذه القوى وخلدت إلى القبول بها والدفاع عنها في إطار النجاح الاحترافي للتسويق لها، وللتبرير لضلالها الفكري، وللتسويغ لأخطائها الإنسانية.

ثم يسحبنا -وهذا هو الأخطر- إلى التفكير في التنظير لحتميتها الإستراتيجية، وهي مرحلة رابعة من مراحل الزيغ الحاد المقصود الذي بدا بوضوح أن الوعي به والاحتياج إليه قد بدأ مع المرحلة الأولى من تعامل القوى الغربية مع معقبات وأصداء ثورات الربيع العربي.

لكن هذا القصور الفكري المنتصر للاستقرار القديم سرعان ما اقترن بإشكالية الاستهجان ولم يتوقف عند دائرة عدم القبول فحسب؛ ومن ثم فقد تخلقت آليات جديدة من الرفض والتململ وإعادة التقييم، وتعددت هذه الآليات حتى أصبحت بمثابة الموجات الطافية على سطح مداولات الرأي العام، بل والخاص أيضًا.

٣

على هذا النحو بدت الممارسات السائدة حاليا في ميدان السياسات الدولية كأنها ليست إلا تعبيرًا مبتسرًا عن روح شيء -ولا نقول روح فكر- ممجوج مأفون، وبدت كأنها انفعالات يحركها الحقد التاريخي في المقام الأول والأخير، ولا تظللها أي رياح تستهدف إحقاقًا لحق أو نشرًا لخير، أو إعلاء لقيمة أيا كانت هذه القيمة.

بل تمادى الأمر في هذا الصدد إلى التفكير الدؤوب في البحث حتى عن أسباب غير منطقية وغير أخلاقية في ما يحدث من حين لآخر من تقلبات أسعار المواد الخام. وكان منها على سبيل المثال البارز للجميع ما اعترى أسعار النفط وأسعار العملات من تقلبات كانت ولا تزال خارج التوقعات الخطية.

ولسنا في مقام البحث في معقولية ومصداقية مثل هذه التحليلات، لكننا لا نستطيع التجاوز عن قدر القابلية والجاذبية التي استحوذ عليها كل تفسير أوتي من المنطق قدرًا ولو يسيرًا.

٤

على أن دور القيادة الكارزمية أو القيادة الواعية يبقى بمثابة العامل الأكثر بروزًا في سياق الحديث عن مدى النجاح في كسر الجمود أو عن العودة إلى حالة الاستقرار التقليدي الذي يتميز في المقام الأول بتضاؤل الاستقطاب الفاعل.

ومع أن هذا يبدو عنصرًا كلاسيكيًا في الإطار المعرفي المتعلق بالجدل حول دور القيادة وحدوده، فإن الإقرار بتجاوز هذه الفكرة التقليدية المطروقة إلى الحديث التقليدي عن حركيات الاقتصاد والاستثمار فرض نفسه بكل قسوة في حالات كثيرة، حتى بات أقطاب السياسة الدولية وهم يعرضون عناصر التقييمات الكمية بمقاربات تصوّرهم أقرب ما يكونون إلى منفذين ومنقذين لشركات الاستثمار الكبرى، مهما كانت أخطاؤها أو تبعاتها.

وقد تجلى هذا بوضوح صارخ في مواقف خاطفة بلورت سطوة رأس المال وذكاءه، كما أجادت تصوير تفاعل عنصري الاستثمار الاستقراري والاستقرار الاستثماري، وهو ما حدث بكل وضوح في أزمة الفولكس فاجن مع الإجراءات الأميركية، وقد تحولت أزمتها بسرعة ذكية إلى حدث عابر بفضل استيعاب ألماني سياسي وفكري قادر على التحدي والاستجابة.

٥

تجلى هذا المعنى العميق بصورة نقيضة في صفقة سيمنز المبرمة للحكومة المصرية، وهي الصفقة التي تحولت أيضًا إلى واقعة يستدعيها أنصار الحرية للتدليل القاطع على أن المصالح مذبح كل القيم، مع أن التعاقد لم يكن بهذا العمق اللاقيمي في بدايته، لكنه تورط إلى هذه النهاية في سرعة بالغة أحدثها في الأوساط المصرية المحلية الشوق المتلهف إلى تبرير فخر غير ناضج حرص عليه أصحاب مصلحة معنوية، فظهرت صورتهم أقرب ما يكونون إلى طراز لا يمانع في اللجوء إلى التدني تنفيسًا عن رغبة ملحة في الدنو من صاحب السلطة.

وكان هذا للأسف هو السلوك الذي حكم نفسيات مصريين مغتربين كانوا حريصين على إظهار قدرتهم على تحدي مشاعر الأغلبيات الحقيقية في وطنهم الأم مهما كان في الأمر من إخلال بواجبهم الخلقي تجاه الصورة الوردية لمجتمعهم الجديد الذي هو ألمانيا، حتى إنهم لم يمانعوا في أن ينسبوا إلى بعض مؤسسات هذا الوطن زورا كراهية الإسلام، وقد فعلوا هذا من أجل تحقيق هدف واحد فقط هو استفزاز القوى الشرعية.

ومن حسن الحظ أن الاستيعاب السياسي لدى الألمان كان قادرًا على أن يمتص بسرعة موجات الكراهية المحدثة عن عمد، وأن يكرر هذا الامتصاص مع كل تصاعد متعمد للموجة.

٦

على وجه العموم، فقد أدرك اللاعبون على الساحة السياسية الآن ما أدركه أبناؤهم وأحيانا أحفادهم من صعوبة الالتواء بجزيئات الحقيقة أو تكييفها لأهداف خارجة عن الحق والحقيقة، ووصل الأمر إلى أن الانتصار للحقيقة أصبح يتحقق على يد المحترفين المتميزين بأفضل كثيرًا جدًا مما يتحقق على يد المحترفين من أصحاب الحق أنفسهم، بل إنه أصبح يتحقق في الميدان غير المتوقع بأبلغ مما يتحقق في الموضع المتوقع.

وعلى سبيل المثال فإن النجاحات التي حققها مراسلو الجارديان وواشنطن بوست في القاهرة حققت من الصدى أكثر مما حققته كل المؤسسات الإعلامية الكبيرة والمشهورة، وكان النجاح في هذه الحالة انتصارا للمهنية العالية بقدر ما حقق أيضًا للمبادئ الإنسانية العليا من إنصاف وانتصار.

على أن الأهم من هذا كله، أن الجماهير المعاصرة في قارات العالم المختلفة أصبحت متحمسة كل التحمس لكل إجراء كفيل بإحداث التفويق ما دامت الإفاقة متباطئة أو غائبة، بل ربما بدون التفكير في أمر ترقب الإفاقة، إذ إن مجرد تأخرها أو تراخيها يمثل دليلا واضح الدلالة على اشتداد (وليس نشوء) الحاجة إلى التفويق.

٧

وفي هذا الصدد وعلى سبيل الإجمال والاختصار المفرط، فإن هناك ثلاثة آفاق ملحة تتطلب التفويق:

الأول : أن ينتبه السياسيون إلى النصح بضرورة استئصال غدة العنصرية قبل العمل بالسياسة، وإلا فإن العالم سيجد من يلعب الدور النازي على نطاق متحفز.

ومن الطريف أن هذا حدث بالفعل حين كنتُ مقالًا كتبته في هذا المعنى، وتقدم ترامب ليلعب هذا الدور عن حب واقتناع.

الثاني : ضرورة الخلاص من الصديد المتجمع في البؤر المصابة بعدوى الاستبداد مهما كان ولاء أعداء الشعوب من دكتاتوريات الشمولية للقوى العظمى، فقد أثبتت التجارب أن الأذى الدكتاتوري يضرب الغرب ضربات حقيقية موجعة مباشرة وغير مباشرة.

الثالث : ضرورة الانتباه إلى الأثر الساحر للرمزيات الوجدانية والتاريخية، وهو المعنى الذي انتبه إليه قادة الغرب وتعاملوا معه بجدية في أحداث باريس ٢٠١٥، بينما انتبهوا إليه ثم استهتروا به في انقلاب القاهرة ٢٠١٣ الذي لا يزال أثره المتجدد بمثابة خميرة مخصبة لكل الاضطراب في العالمين العربي والإسلامي.

تعقيبات

الحقيقة:

لم نحقق يوما الاستقلال عن المستعمر وسيفعلون المستحيل لبقاء الأمر على ما هو عليه لأن ذلك سبب قوتهم .. لمن سيبيعون قمحهم إن حققنا الاكتفاء الذاتي؟ لمن سيبيعون ما يصنعون إن صرنا بلدانا مصنعة؟ ٨٠ بالمائة من ثروات العالم بيد ٢٠بالمائة من سكانه وأغلبهم ينتمون لنفس العائلات أو لنفس الشركات.. العشرون بالمائة هم مافيات بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ومغفل من يصدق أنهم يريدون لنا الخير والازدهار أو أنهم سيتركون لنا يوما الاختيار، وبذلك يقطعون عن أنفسهم أسباب قوتهم وهي تبعيتنا الاقتصادية ونهب ثروات المسلمين

زمزم:

الدنيا بها فيها ناقص المكر الاسرائيلي و المال الخليجي يبقى السلم و السلام و الراحة و الرخاء . ولكن الدنيا زائد هذين العنصرين فهناك الارهاب و العقلانيات المأفونة والممجوجيات المجنونة

hossam maroc:

لست أظن أن القوى الكبرى قد تكون في حالة من حالات انعدام الإدراك أو قد تكون خارجة عن معرفة حركة الإنسان في مرحلته الطبيعية من رحلة البحث عن الذات، فكل هذا التصور الذي يزاحم نفس الإنسان العربي بإصراره على الكرامة كفيل بتعميق فكرة الغرب لاحترام إرادة الآخرين. لكن الإشكال الذي يعرقل هذا الاعتراف هو آمال الغرب في انتظار فترة ما ممكن أن نشعر فيها باليأس من مثل هذا الطموح المشروع و هذا نظنه نحن غير ممكن ومستحيل.

مصري:

يا سيدي العالم يحكمه مجموعة من تجار السلاح والطاقة. بأموالهم اللانهائية يريدون ضمان رواج

بضاعتهم للأبد. فلابد لتجار السلاح من نشر العداوة والعنصرية وصراع الحضارات وأي شيء ينتج عنه حروب لكي تزدهر تجارتهم، وأيضا تجار الطاقة يريدون أزمات متلاحقة ترفع من سعر الطاقة لتزدهر تجارتهم. الإسلام الآن والشرق الأوسط ينطبق عليهم مواصفات الهدف بشكل ممتاز لإدخال العالم في صراع مفتعل مع الإسلام أي مع مليار و٦٠٠ مليون انسان وحوالي ٥٠ دولة. ما يضمن لهم تجارة مزدهرة لعصور قادمة. ولكن الحقيقة أنهم يفوّقون المارد النائم.

انسان:

الأحداث أثبت أن العالم مازال بعيدا عن العقل رغم ادعاءه التحضر... فما زلنا نرى الاستبداد والعنصرية و الاحتلال ...الخ تماما مثلما كنا نقرأ في كتب التاريخ عن عصور الظلام الوسطى الفرق الوحيد هو رسم الحدود الجغرافية.

:khaled rdwani

«فطبيعة هذا العالم ومنذ بداياته تحكمه قوانين خارجة عن القانون الإنساني الوجداني العميق بالتبصر والتأمل والانتظار»، لكن وبما أن من كل شيء زوجين فلذا بدا لنا من رؤية الشر متجذرا في نفوس تجار الحروب ومشاهدة الحقد ينزف بغزارة في قلوب الأصنام الحاكمة، وبالنظر لمثل هذه الأساليب والتصرفات تأتينا فرصة مواتية لدخول إلى صراع نلتمس منه إيجاد السبل إلى طريق الخير وحتى ولو كانت التكلفة أكثر من شيء اسمه الدماء.

❑

الفصل الثالث
هل قررت الولايات المتحدة الأمريكية إعدام الأمم المتحدة؟

١

ليس من حقنا أن نتجاوز عن تذكير القارئ بعدة حقائق تتعلق بنشأة الأمم المتحدة ومنها:

- أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت هي الأكثر حماسا لتأسيس المنظمة الدولية الحالية.
- وأن اجتماعات التأسيس تمت في سان فرانسيسكو .
- وأن الولايات المتحدة لعبت من فوق المنضدة ومن تحتها بدأب واجتهاد ليكون مقر الهيئة الجديدة في الولايات المتحدة الأمريكية لا في أوربا.
- وأن المليونير الأمريكي روكفلر بكل ما يمثله منح المنظمة الدولية مساحة الأرض المتميزة التي تم بناء مقرها عليها.
- وأن الولايات المتحدة الأمريكية ظلت حريصة على إعطاء تلك المنظمة البديلة لعصبة الأمم كثيرًا من حقوق الشرعية والتأثير والنفوذ والتقرير والفصل والتوفيق في حل النزاعات واستكشاف الأبعاد المتعددة في النزاعات الإقليمية والدولية على حد سواء.

٢

لكن الولايات المتحدة الأمريكية شأنها شأن كل ديكتاتور دولي تاريخي معتبر بدأت تتململ من الأمم المتحدة عندما ازدادات درجات الوعي الدولي بالحقوق المشروعة في التطلع للتقدم واستقلال القرار .

وقد بدأ هذا التوجه يظهر بثقة منذ أوائل السبعينيات من القرن الماضي بسبب التراجعات الأمريكية في فيتنام وغيرها ، لكن الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت كانت لاتزال تدرك مدى سحر وجدوى المعنى الحقيقي للواقعية والعدالة لا المعنيين المزيفين لهما .

ولهذا السبب فإن الولايات المتحدة الأمريكية سارعت بذكاء أقلق السوفييت والأوربيين إلى أن تكون هي الآخذة بيد الصين الشعبية إلي حقها الطبيعي في المقعد الدائم الذي كانت تشغله حكومة شبه انقلابية أمريكية فيما يسمي بالصين الوطنية : فرموزا .

ولم تعر الولايات المتحدة الأمريكية بعقليتها المفكرة في تلك اللحظة أي التفات (أو أهمية) لتلك المعادلة البسيطة التي تنبه في سذاجة إلي أن حظ القوي الشيوعية سيرتفع بهذا التصرف من عشرين في المائة إلي أربعين في المائة من قوة الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن ، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية مقتنعة بأن المسألة محسومة بالفيتو الذي كان يمكّن مقعدها الوحيد مما يحقق له بلغة اليوم اسم «الخمس المعطل» وهو ما حدث بالفعل وبقسوة على مدار تاريخ تلك الحقبة من الزمان التي لاتزال تشهد تعطيل ذلك الخمس لكل قرار يحاول أن يلفت نظر إسرائيل (مجرد لفتة نظر) إلي الإنسانية المعذبة والمعانية والممتهنة على يديها .

٣

تطورت الأمور إلى توجه آخر بحكم ما هو معروف من ميل الولايات المتحدة الأمريكية الوراثي إلى الملل بأكثر من ميلها للتجديد، وبحكم رغبة عارمة في إقحام عوامل جديدة (مخلقة صناعيا أو معمليا) علي مسارات الصراع الاجتماعي والسياسي والديني ، وقبل هذا وذاك بحكم رغبتها في البحث عن لاعب دولي يحل محل السوفييت في الثنائية التقليدية الشهيرة التي كانت الولايات المتحدة الأمريكية أسعد الناس بها.

ومن الملاحظ أن القوي الخمسة التي حاولت الولايات المتحدة الأمريكية جرجرتها لهذا الدور لم تبد أي نوع من أنواع الترحيب بهذه الفرصة المتاحة ، وهو ما يمكن تلخيصه في خمس عبارات قصيرة :

- فأوربا كانت قد بلغت من النضج حدا لا يسمح لها فسيولوجيا ولا سيكولوجيا بممارسة المراهقة السياسية التقليدية التي لم تعد تليق بها ولا بشعوبها ولا مجتمعها المدني .
- والصين وجدت سرًا بسيطًا يتمثل في أن «التفاني» في الاقتصاد يحقق من النصر أضعاف «الفناء» في الحروب .

- والعالم الإسلامي بقيمه وجد بدون تفكير طويل أن المصيدة لا تقود الي مصعد وأن دخول المصعد مباشرة أنسب له وأجدي من دخول المصيدة الأرضية .
- واليابان كانت قد بلغت من التسامي الخلقي الجماعي درجة لا تسمح لأي من سياسييها أن يخدع نفسه لينتهي الأمر به إلى ما هو ضروري من الانتحار المبكر .
- أما روسيا الجديدة التي تعاود محاولة الانبعاث (أو الخروج) من رماد الدولة السوفيتية الطاغية على النحو الذي تقول به الأسطورة المعروفة فإنها تقارن بين رغد الاستقلال وذل التوسع، فتؤثر برهافة العصر ورفاهيته أن تتمتع بشياكة القطع الصغيرة علي الترهل الملازم لضخامة الأوهام .

٤

ومن الحق أن نعترف أننا لا نستطيع أن ننتقل من هذه الفقرة من دون أن نشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تحاول في هذا الطريق من خلال قناتها السادسة المحتملة متمثلة في كيان إيران بأي اسم من أسمائها المتعددة الظلال: فارسية وإيرانية وعجمية و مجوسية وطاووسية وشاهنشهاية وشيعية وصفوية و خومينية.

وإن كانت الظروف قد أقنعت الولايات المتحدة بالكف عن مواصلة النفخ فيما تمثله كوريا الشمالية .

ومع كل هذه الحقائق الواقعية فإن الإبداع الفني في الاستراتيجيات الأمريكية بدأ يفكر في اتجاهات مبتدعة وغير مطروقة لإدارة العالم بالريموت الأمريكي بعيدًا عن المنظمة الدولية من ناحية ، والمنظمات الإقليمية أيضًا ، وبعيدًا عن السيادة الوطنية من ناحية ثالثة بذات القدر.

وبعبارة رجل الشارع البسيط فقد قررت أمريكا ألا يكون قرار العراق (مثلا) بيد الرئيس العراقي، ولا بيد الأمم المتحدة ، ولا بيد الجامعة العربية وأن يكون بيد «الفقيه الوالي» الجالس ما بين قم وطهران على ألا يكون لهذا الفقيه الحرية في التصرف إلا في حدود الكتالوج الأمريكي، ومن خلال توريد قطع الغيار المعتمدة أمريكيا.

٥

وقل مثل هذا (علي سبيل تقريب الفكرة) بأن يكون قرار اليمن مثلًا بيد عمان

العاصمة أو عمان الدولة ، وأن يكون قرار مصر بيد تل أبيب ، وأن يكون قرار ليبيا بيد باريس ... وهو ما يتوافق مع ما هو مسموح به تجاريا من أن يكون التوكيل في عاصمة ما ليس من الضروري أن تكون هي الأكبر ولا الأعظم .

ببساطة شديدة يدركها رجل الشارع بأسرع مما يدركها أساتذة السياسة فإن الساسية الأمريكية تريد أن تدير المنظومة الدولية على طريقة الوكالات التجارية المحتكرة للصيانة والتوريد ، وهو ما يناظر في الممارسات السياسية تسيير ومعالجة أمور السيادة والحكم .

يترافق مع إقرار الاستراتيجية الأمريكية لمبدأ الأخذ بفكرة الوكالات التجارية في السياسة مبدأ آخر يقتضي بوضوح وصراحة تحطيم روح الأمم المتحدة ، ومن باب أولى تحطيم كيانها ووجودها .

والمبرر التجاري المنطقي موجود سلفًا فإن سياسيا محليا مثل أوباما (أو سلفه) يقول لنفسه : ما هو دخل البرازيل بمشكلات الشرق الاوسط إلا أن يأتي يوم نطلب منها فيه قوات تندرج تحت ما يسمي القوات متعددة الجنسيات ؟ وما قيمة إندونسيا أو ماليزيا في مشكلة أوكرانيا ؟

وهكذا تنسف الولايات المتحدة الأمريكية بالتقويض (التقويض بالقاف أي باللعب في الأساسات) و بالتفويض (بالفاء) المتدرج فكرة الأمم المتحدة و المجتمع الدولي إلى ما تظنه نقطة اللاعودة .

٦

مضت الولايات المتحدة الأمريكية بخطوات واسعة في هذا الطريق منذ تحالف بوش الأب لإخراج صدام من المعادلة ومن الكويت في الوقت ذاته . وهو إخراج تكفل تلقائيا بخروج العرب من نقطة الأمل في الاتفاق ، كما أنه أنهى حياة الجامعة العربية ، وإن لم ينه وجودها كجسد ميت له مقر كالهرم شموخا ، وله صوت قابل للانبعاث مع نفخة الروح المنطلقة أو المنتظرة .

ثم أضاف كلينتون الذكي بعدًا عميقًا إلى هذا النجاح بما حققه في البوسنة.

ثم أضفى كل من جورج بوش الابن وأوباما روح الشر على هذه الأمركة الجديدة ، وفي حقبة بوش الابن فقد بدت روح الشر زاعقة فاقعة أما في عهد أوباما فقد بدت واهنة

حائرة لكنها للأسف الشديد كانت ؛ لسوء حظ الانسانية «أعمق شرًا وأفظع خباثة وتعصبا» .

عن قريب تبدأ الولايات المتحدة إعادة تقييم للجدوى هنا وهناك وهنالك بعدما وجدت نفسها أمام ما لم تتوقعه للربيع العربي من أصداء مضيئة وإشراقات بازغة علي الرغم مما استماتت من أجل تعويقه به عن طريق تعزيز الثورة المضادة وبعث الانقلابات العسكرية ، يقلقها في كل هذا السياق أو في كل هذه الانساق خمسة أمور :

- أن الشارع الإسلامي يواصل اليقظة حتى في الليل.
- أن رموزًا كثيرة تخدمها أصبحت تسقط بسهولة.
- أن روح الانخداع تتلاشى.
- أن التململ من سوء السلوكيات الأمريكية لا يفتأ يتسع باستمرار ولا يتراجع .
- أن الأجيال الصاعدة أشد عداء للولايات المتحدة الأمريكية وللفكرة الامبريالية و بأكثر مما كان يتخيل أي دارس أو باحث أو مراقب .

٧

في المقابل فإن الولايات المتحدة الأمريكية في الوقت نفسه تريد أن تختبر أسلوب توكيلات الشركات الكبرى لكنها لا تزال تغفل عن جهل ثلاث حقائق حاكمة لم يتح لها حتى الآن أن تدرك جوهرها .

- أولى هذه الحقائق تتمثل في أن المسجد في الإسلام ليس هو المبني فحسب لكنه مكان السجود وموضعه ، ومن ثم فإن في قلب كل مسلم (أو شبيه بمسلم) مسجده الذي لا يخضع لفكرة ومنطق التوكيلات التجارية .
- ومن العجيب أن هذه الحقيقة لا تنطبق على أهل السنة فحسب ، ولكنها تبزغ أيضا عند كثير من الشيعة والقاديانية والبهائية والدروز وحتي السيخ والصابئة والسامرية !! وربما يفاجأ أعتى خبراء الولايات المتحدة الأمريكية بهذا عن قريب.
- ثانية هذه الحقائق أن كثيرًا من المسيحيين العرب يتفوقون على كثير من المسلمين في تجذر وتعمق انتمائهم (السياسي) للإسلام: حضارة ودولة وتاريخا ، وهي حقيقة لن

تتوقف صدمتها للولايات المتحدة الأمريكية عند عدم التصديق فحسب لكنها تنسحب إلى ما هو أعمق وهو عدم القدرة على التصديق!

- ثالثة هذه الحقائق أن العالم الإسلامي كله (سواء كان معاديا للغرب أو مواليا له) لا يقيس موقف الولايات المتحدة الأمريكية والغرب من الإسلام إلا بترمومتر واحد هو موقف الغرب من القاهرة ومن فيها من حكام (مغتصبين كانوا أو متغلبين أو محبوبين) مهما كانت القاهرة نفسها موهنة أو مغيبة ، راضية أو رافضة ، مروضة أو مرفوضة.

تعقيبات

عبدالصمد:

هل قررت إسرائيل إضعاف الولايات المتحدة؟ وخلق قوة عالمية جديدة لها تتمثل بإيران وروسيا . هل قررت بريطانيا الخروج عن الأمم المتحدة؟ اقتصاديًا وسياسيًا . هل تناست أحجار الشطرنج اليهودي تاريخ سوريا وجحافل الاستعمار مر العصور .بالمقابل ألا نرى أن ثمار زيارات الروس وتل أبيب بدأت تعطي ثمارها عربيا ودوليا!

نور:

يبدو الآن أن الولايات المتحدة عاجزة للرد على الظروف المتغيرة في العالم. وعجزها يذكرنا بأواخر أيام الإمبراطورية الرومانية التي بعد مجد طويل ضعفت ثم عجزت ثم سقطت. وإذا كان إعدام الأمم المتحدة مقترنًا بعجز أميركا، فليس ذلك غريبًا لأن أميركا هي الأمم المتحدة وبالعكس .ويبدو أن عجز أميركا الحالي قد أدى لدخول روسيا على خط النار حيث طائراتها تصول وتجول في سماء سوريا فتقتل المدنيين الأبرياء وتدعم رئيسًا استباح دماء شعبه بدون حدود. ومع العجز لا نستبعد عودة بعض دول اليسار لمساندة روسيا والنظام في سوريا.

مغربية:

إيجاد مؤسسات و محاكم دولية كان أمرًا مهما بالنسبة للغرب في مرحلة التخطيط ودراسة المشاريع الإمبريالية التي وضعها بالتنسيق مع حلفائه ليتم تقنينها عبر مجالس كالأمم المتحدة أمام الإعلام والرأي العام خصوصا الغربي منه ليتم تنفيذها بعد إضفاء الشرعية عليها، لكن العالم اليوم يعيش مرحلة التنفيذ وما بعدها وأصبحت التحالفات تسابق بعضها لنيل حصة الأسد بكشف أوراقها علنا وسط تغيرات سريعة لمجريات الأحداث أصبح معه العمل المباشر على الأرض لا يحتمل ضياع الوقت في تمثيل السيناريوهات إلا عندما يتعلق بقضايا.

الباب الثاني
الحـرب والسـلام

الفصل الرابع
للسياسة روح هي الحرب وحياة هي الدبلوماسية

١

يستسهل كثير من الباحثين والأكاديميين ترديد القول بضعف الخبرات الإسلامية النشطة في مجالات العلاقات الخارجية، والسياسات الإقليمية والدولية.

وينطلق هؤلاء في مثل هذا التقرير من فرضيات شبه تقليدية غذتها بحوث غربية غير مباشرة، ومن انطباعات ذهنية مستقرة تحتفظ حتى الآن بصورة سيئة عن أداء قاصر لمؤسسة الخارجية المصرية في الحقبة الناصرية حين «تعسكرت» مناصب السفراء بنسبة ٧٠٪، وهي نسبة لم تسجل في أي مكان آخر.

ويتذاكر هؤلاء مصائب الأداء الدبلوماسي الإسلامي والعربي في تلك الحقبة التي كانت مصر تتحمل فيه -في ظاهر الأمر- وتستحوذ أيضًا على جزء كبير من مقدرات السياسة العربية، ونكساتها كذلك.

ويتذاكرون بسهولة الحقيقة المرة الكبرى وهي أن هذه العسكرة المشوبة أو المغطاة بفكرة تجانس الفريق لم تؤت ثمارها المفترضة في تنسيق المواقف أو تفعيل الرؤية الإستراتيجية التي زعمت البروباجندا العربية أن مؤتمرات القمة العربية منذ ١٩٦٤(ومن بعدها بروباجندا ما سمي بلجنة القدس) قد أنجزتها، وإنما كانت النتيجة عكسية ومعاكسة تماما.

٢

آتت هذه العسكرة الدبلوماسية أو الدبلوماسية المتعسكرة بثمارها التلقائية السلبية، بل العميقة في تداعياتها السلبية في التوجه نحو المشتريات والنزهات وتنسيق ما تتطلبه وتفرضه التطلعات الطبقية في زيارات الأسر الثورية الحاكمة.

وبلغ الأمر بهذا الفشل أن هزيمة يونيو/ حزيران ١٩٦٧ حدثت دبلوماسيًا قبل أن تحدث عسكريًا، وتأكدت دبلوماسيًا قبل أن تتوكد عسكريًا، وهما حقيقتان لم تجدا حظهما

بعـد مـن الدراسـة الجـادة، عـلى الـرغم مـن كـل مـا كتـب وسـجل حتـى الآن، وإن كانتـا (الهزيمتـان) قـد وجـدتا حظـيهما مـن الاقتـداء المتكـرر فـيما يمكـن تـسميته **بالـسلوكيات الجمهوريـة العربيـة** بطريقـة أصـبحت ملهمـة لكـل الهـزائم العربيـة الـشمولية التاليـة لمأساة١٩٦٧ بما فيها أو حتى على رأسها سقوط بغداد المهين، في وقت كانت الدبلوماسية العربية كفيلة لو وظفت بمهنية أن تمنع المأساة.

لكنها للأسف كانت قد دربت تماما على أن تلعب من الأهداف ما يسجل للخصم (أو ما يسجل على الـذات) فـيما يعـرف في اللغـة العـسكرية **بـالنيران الـصديقة**، وفي التعبـيرات الشعبية الواصفة لمباريات الرياضة بأنها الأهداف التي يسجلها الفريق في نفسه.

٣

ومن المفيد لتاريخنا ولمستقبلنا عـلى حـد سـواء أن نعـترف بـأن الدبلوماسـية المـصرية في الستينيات قد أضفت -ودون قصد أو تخطيط متكامل أو شبه متكامل منها- ملامـح هـذا الطابع الخاص من السعادة الحماسية بتسديد الأهـداف في ملعـب الـذات بـما تـسميه عـزة وكبرياء، وساعدت بفضل قوة الماكينة الإعلاميـة الجبـارة عـلى أن تفـرض هـذا الأسـلوب على كثير من التجارب الدبلوماسية العربية التي استلهمت التجربة الناصرية، وأفادت من قدراتها المذهلة ونجاحاتها الساحقة في الحفاظ على تأله الزعيم، وعـلى حيـاة الـزعيم متألهـا وملهما، وعلى بقاء الكرسي تحته ثابتًا وفخورًا.

وهكـذا انتـصرت **الدبلوماسـية المتعـسكرة** بتغليـب نجاحاتهـا في تلبيـة الاسـتحقاقات الداخلية والذاتية على واجباتها في المحيطات والمحطات الخارجية.

ومن الطريف أنه في مقابل هذا الفشل العميـق في تحقيـق الأهـداف الوظيفيـة الأصـيلة كـان هنـاك عامـل «تاريخـاني» مهنـي حفـظ للدبلوماسـية المـصرية -في الظـاهر- مكانـة الأستاذية لا الريادة فحسب.

وقد تمثل هذا العامل في التفوق الملحوظ الذي كانت بعض الشخـصيات الدبلوماسـية المـصرية مـن عهـد الملكيـة والليبراليـة تحـوزه أو تتمتـع بـه مـن حيـث تواصـلها الشخـصي والبروتوكولي مع الشخصيات الدبلوماسيات الغربية بحكم ما كانت تتمتـع بـه مـصر مـن ثراء مادي وشخصياتي وعلمي وأسبقية في التواجد الدولي الرسمي.

وقد تجلى هذا على سبيل المثال في معاصرة و«زمالة» الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد ومن قبله الدكتور محمد حسن الزيات للرئيس الأميركي جورج بوش الأب في تمثيل مصر والولايات المتحدة الأميركية لدى الأمم المتحدة، وهي زمالة تجبرك تلقائيا على المقارنة وعلى أن تتأمل فيما حدث في ٢٠١٦ من اضطرار المندوبة الأميركية أن تخاطب المندوب المصري في مواقع التواصل الاجتماعي بقولها له علنا: عار على مصر.

٤

ومن الطريف أن هذه العوامل «التاريخيانية» لا تزال تحتفظ بآثار دالّة عليها في الأرقام الترتيبية للبعثات الدبلوماسية المصرية في عواصم العالم الكبرى، وإدارات المرور فيه، كما تحتفظ بمؤشراتها في عظمة وثراء مباني السفارات والقنصليات ومواقعها ومساحاتها ومحتوياتها.. الخ، فضلا عما كان يتأهل به الارستقراطيون المصريون العاملون بالدبلوماسية المصرية من جوانب متعددة للتفوق الإنساني في المظهر، وأحيانا كثيرة في الجوهر أيضًا.

بيد أنه فيما بعد الهزيمة العربية المدوية في ١٩٦٧ وعلى مستوى التوظيف الفكري والتوصيف القانوني والأداء السياسي والتفاعل اللحظي والإنتاج المهني فقد واجهت هذه الدبلوماسية أقصى ما يمكن من تعقد للمشكلات التي كان عليها أن تواجهها وأن تتعامل معها واصلة إلى حدودها القصوى، وهو ما جعل نظام السادات يفيق بسرعة إلى ضرورة الاعتماد المباشر والفوري على عناصر مدرسة دبلوماسية حقيقية تنفض يدها من تداخلات وحسابات السلطويين والعسكريين وأهل الثقة لتعود إلى ما يمكن له وبه أن يكون منبعًا حقيقيًا لأداء مهني قادر على التعامل مع الحقائق، ومع القانون، ومع الواقع السياسي الدولي لتحقيق درجات كبيرة من المكاسب السريعة الكفيلة بتقديم كل ما يمكن تقديمه من شكليات أو جوهريات تكفل خدمة القضايا المصيرية.

وهكذا سرعان ما نفض السادات يده بهدوء من الضابط القديم محمود رياض الذي عاش مع قضية فلسطين منذ اتفاقات الهدنة في ١٩٤٩، وتوجه إلى الدكتور محمد مراد غالب الطبيب الجراح الأستاذ الذي كان قد استقر سفيرا لمصر في موسكو (وصديقا لشخصيات سوفيتية كثيرة كانت ابنة ستالين من بينها) حتى بعد أن بطأ السلطويون

والعسكريون خطوات صعوده، ثم محمد حسن الزيات المثقف وأستاذ الأدب العربي الذي تحول مبكرا إلى العمل الدبلوماسي ثم إسماعيل فهمي الدبلوماسي المحترف المتصل عن كثب بالمنظمات الدولية، ومع هؤلاء أشرف غربال وأحمد عصمت عبد المجيد ومحمد إبراهيم كامل ومحمد رياض وسميح أنور وعمر سري.. وفي القلب منهم جميعا أسامة الباز.

٥

وفي ذلك الحين كانت عدد من مدارس الدبلوماسية العربية والإسلامية البارزة الآن قد سبقت في الالتزام بأطر محددة من خطوط التعامل القائمة على قرارات سابقة، وتوجهات ثابتة إلى الحد الذي أصبح معه من اليسير بالفعل أن يتم التنبؤ الصحيح بقرارات المسلمين والعرب في السياسة الخارجية، مع ترك مساحات معقولة لتعظيم الإسهامات أو تقليلها، وتوقيتات التحول من توجه لآخر.

وفي هذا الصدد كانت بصمات الملك فيصل القوية الذي ظل محتفظا بوزارة الخارجية حتى اغتياله، كما برزت كفاءات الخارجية السورية وطلائع التميز في الجزائر والكويت وماليزيا والعراق وقطر والإمارات والمغرب وتونس ثم تركيا وإندونيسيا جنبا إلى جنب مع تقلبات نيجيريا وباكستان وليبيا.

٦

بيد أن الأداء الدبلوماسي الإسلامي عانى بصفة متصلة ومتجددة من آليات لولبية التأثير تعود إلى طبيعة القلق الاستعماري والصهيوني من كل تفوق إسلامي، وهي آليات بالغة الخبث بقيت بمثابة سبب مباشر لاستثارات غير معروفة التاريخ، وإن كانت لا تخرج عن نوازع التحريض والتربص المتكررين.

ومع كل هذا بل وبناء عليه فإنه يمكن للمحلل المنصف الآن أن يشيد (بثقة واطمئنان) بكثير من مظاهر التفوق المهني في الأداء الدبلوماسي لعدد كبير من الدول الإسلامية الفاعلة في محيطها وفي العالم، وهو أداء مكن الروح الإسلامية بسهولة من مجموعة من النجاحات المتوالية في السنوات الأخيرة، وقد تتوجت هذه النجاحات أخيرا بذروتها العالية من الحضور المؤثر في الأداء المصاحب لطبول الحرب في سوريا، والمتحكم

فيه، وهي ذروة من نجاح دبلوماسي لا تزال غير مشهودة لكثيرين ممن لا يحبون رؤيتها.

وقد تجلى هذا النجاح المتوج على سبيل المثال في استمرار سياسات الأبواب المفتوحة حتى مع إيران ثم مع روسيا وهو ما أدى بهدوء ونعومة إلى ابتعاد الموقفين الإيراني والروسي عما كانا مندفعين إليه بالغريزة من توجه متسارع نحو مضاعفة التورط العسكري، والعمل على إثبات الذات بإبادة الآخرين، فإذا بالأداء الدبلوماسي المتعقل لمحور السعودية وتركيا وقطر (والذى تتوج بزيارة رسمية لموسكو قام بها أمير قطر) يفتح من آفاق التفاهم ما كان كفيلا بأن يوهن من الآثار المترتبة على الانصياع لأحادية الرؤية، أو المضي مع سياسة الشاطئين والعداوة الفاصلة عبر نهر الحدث.

كان هذا كله يحدث على الرغم من إلحاح الشر في محور إيران وروسيا، ولربما يكشف لنا التاريخ بوثائقه أن هناك من الحقائق المغيبة ما هو أكثر بكثير من كل هذه الحقائق التي كان صوت انفجارها مدويا وكان أثر قوامها قاسيًا.

٧

وفي هذا الإطار لم يكن مفاجئا لي أن يزور الرجل الثاني في تركيا طهران لأن ما يجمع البلدين يفوق بمراحل ما يفرقهما، وما يواجهه هذان البلدان من مشكلات مشتركة يفوق ما بينهما من نزاعات غير مشتركة.

ولا يزال قويًا جدًا في ظني أن أمام إيران فرصة ذهبية في أن تعيد منطلقات تعاملها مع أساسيات المشاكل التي تجدد النزاع بينها وبين العربية السعودية وغيرها من الدول السنية، ومن المستحب لإيران أن تحاول تقليل جذور الخلافات، وأن تبدأ في النظر إلى نفسها على أنها جمهورية إسلامية وليست حركة إسلامية، وأنها إسلامية وليست خومينية، وأنها وصلت الخامسة والثلاثين بالفعل لا بشهادة الميلاد وحدها.

وباختصار شديد فمن واجب إيران تجاه نفسها -وهي قادرة- أن تتخلى عن كثير من المراهقة الفكرية لصالح الدبلوماسية الإسلامية بعد النجاحات المتكررة التي أحرزتها دبلوماسيتها الغربية.

أما العرب فإنهم بحاجة إلى أن يذكروا أنفسهم كل صباح وكل مساء بالحقيقة الكبرى في التاريخ، وهي أن أحدا لن يعطيك حقك السليب وأنت ضعيف، أو بسبب أنك

ضعيف، ولكنه سيعطيك حقك أو يتفاوض معك حوله حين يراك قد انطلقت بالفعل إلى القوة. وكم من حقوق عادت لأصحابها بمجرد تجييش الجيوش.

تعقيبات

نور:

تذكرني المقالة بقصة الملكة بلقيس مع النبي سليمان - عليه السلام- التي استعملت أولًا الدبلوماسية لاختباره بإرسال هدايا سخية له لإرضائه وما أن علم سليمان بذلك حتى أمر فورًا بحشد جيوشه لدحر مملكتها. ذلك كان القوي الذي رفض الدبلوماسية للحظة واحدة. أو تلك المرأة التي مجرد أن صاحت وامعتصماه فجاءت الجيوش تزحف لنجدتها. ولولا الفقرة الأخيرة في المقالة لقلت إن مركب الكاتب قد تاه في البحر وغرق لولا سرعان ما أدرك أن القوة حياة والضعف مات وأن الكون حي لا يعبأ لوزن الضعيف مهما كبر.

صفاء:

..... والمهم أن يكون هناك تكامل بين العسكري والسياسي ..... شواهد التاريخ تقول بعكس هذا، مثلا تجد القيادة السياسية تنسف ما حققته العسكرية على الأرض، كلُ في واد ، مثلًا حرب أكتوبر رأينا بسالة للجيوش العربية وتقدما وانجازات إذ بالقيادة السياسية تنهيها باتفاقية كامب ديفيد التي أخرجت مصر من الصراع!! مثال آخر: رأينا كيف أحيت انتفاضة الحجارة القضية الفلسطينية وأكسبتها الدعم وأعادت القضية للواجهة وأنهتها السلطة بأوسلو وحنظله!هل هو قطف الثمار قبل أن تنضج أم قيادات همها مصالحها وامتيازاتها هي ولو على حساب مصالح الوطن!

د. مازن أبوبكر:

الصهاينة تألقوا في العمل الدبلوماسي حتى قبل قيام دولتهم فقد أقنع جورج مارشال ترومان بمنع إقامة دولة اسرائيل لأنه قال إن من شأن ذلك تخريب مصالح أمريكا الإستيراتيجية مع العرب والمسلمون ولكن الصهاينة استطاعوا إقناع ترومان لسببين: الأول أن مستشاريه المقربين من اللوبي أكدوا له أن نجاحه في كرسي الرئاسة مرهون بدعم اللوبي اليهودي ولم يتخذ القرار إلا عندما قابله أحد الصهاينة وبكي وهو يشرح له عن الهولوكست وضرورة قيام إسرائيل لضمان أمنهم، أما الانقلاب على محمد نجيب فقد حصل بقبول أمريكي إسرائيلي.

❑

الفصل الخامس
حين يصبح الحل العسكري خيارا سلميا وحيدا

١

علمنا التاريخ أنه حين يصبح الخلاف مرضًا مزمنًا فإنه يستدعي الحرب، وعلمتنا الدبلوماسية المعاصرة أن نعبر عن كل معنى صريح بألفاظ أقل حدة، ومن محصلة هذين الدرسين أصبح الحديث المعاصر أو الخطاب الإعلامي الراهن يراوح في التعبير عن حتمية الحرب بمصطلحات من قبيل الخيار العسكري والتدخل العسكري، فالخيار العسكري يدل في المقام الأول على تهديد بالحرب، بينما التدخل العسكري يدل بوضوح على اضطرار إليها.

ويستتبع التدخل حديثًا اصطلاحيًا عن المحدودية أو ما يناقضها من شمول أو تعدد في الجبهات كما يستتبع حديثًا آخر عن المدى الزمني وتوجهه مما تعبر عنه صفات (نتائجية أكثر منها عملياتية) من قبيل الحسم والحزم والردع والصمود والاستنزاف.

وفيما مضى فإنه على سبيل المثال كان تعبير (أو أسلوب) الحرب الخاطفة من أبرز إنجازات العسكرية الألمانية في الحرب العالمية الثانية، ومن أكثر إبداعاتها جاذبية، بل إنه أصبح حلما براقا حتى شهد ازدهاره وتألقه في حروب الصراع العربي الإسرائيلي على نحو ما سميت.

٢

وفى كل هذه الأحوال يحرص العسكريون المحترفون على وضوح القرار السياسي بأكثر مما يحرص الساسة على وضوح الرؤية العسكرية المنفذة لإستراتيجياتهم، وليس هذا بالمستغرب في ظل الكلفة العالية للقرارات الحربية على جميع المستويات، وهي كلفة قد لا تصل في أحسن ظروفها إلى أن تحقق عائدا اقتصاديًا مباشرًا، لكنها فيما هو أهم من هذا تستنقذ الحاضر الراهن بإنجازاته وطموحه كما تستنقذ المستقبل المستشرف بآماله وتصوراته.

وهنا يتجلى المعنى الفلسفي العميق المنبه إلى أن تكلفة الغياب (أو النكوص عن الحرب) تفوق بمراحل تكلفة أسوأ سيناريوهات الحضور (أو القبول بآلية التدخل العسكري) .

ويمثل هذا المعنى الـذي وصـفناه عـن حـق بأنـه «فلسفي عميـق» جـوهر الفـارق بـين الزعامة من ناحية وبين إدارة الأعمال في مستواها السياسي التقليدي الـذي قـد يتضاءل في استحقاقاته عن الرقي حتى إلى متطلبات وآليات مستوى الإدارة العامة.

٣

فيما يـلي زماننـا هـذا مـن أزمنـة أو عـصور قـد يقـدر للإنـسانية أن تعيـشها فـإن نمـوذج الـصـراع الـراهن فـي المـشرق العـربي هـو أبلـغ مثـال حـي عـلى مـشروعية الحـرب في اليمن ضد «الحوثيين»، وفي سوريا ضد «العلويين»، وهي حرب تجاوزت في دوافعها ومستحثاتها (ولا نقول مبرراتها) فكرة المشروعية إلى مراحل متقدمة من صراعات الهيمنـة والوجود، فضلًا عن استبداد الأقلية المسلحة وسلوكياتها المقصية للجمـوع وللمجمـوع ولأهل الجماعة ولجماعة الأغلبية على حد سواء.

ومن الإنصاف للقوى العربية الكبيرة أن نتأمل في طبيعـة الـصبر المـستطيل الـذي مـدت حباله في تعاملها مع أقلية متسلطة في سوريا أصبحت مع مضـي الزمن تتصور نفسها وكأنها خلقت من سبيكة حيوية مختلفة عن الطين الـذي خلقـت منـه البـشرية، فأصـبحت بحكـم وجودها في الـسلطة تبني وتكـرس تحـصينات تمـلك الـسلطة الأبديـة والاسـتحواذ عليهـا: احتكارا لها واحتقارا لغيرها بما يتنافى مـع أي تطلـع شـعبي أو نخبـوي مـشروع إلى المـشاركة فيها، ودعك من فكرة التداول التي هي جوهر الديمقراطية من ناحية، والتي هي من وجهة نظر بشار الأسد فكرة غير ديمقراطية تمثل رابع المستحيلات بالنسبة له ولطغمته الحاكمة.

٤

وقد بذلت سياسات المملكة العربية السعودية كثيرًا من الجهد في مرات عديدة كيما تقدم لبشار ولوالده من قبلـه فرصًـا ذهبيـة في تـأمين وجـودهم في الـسلطة في سـوريا وفي الفـضاء الشامي الذي يمتد بروحانياته وتنفسه -ضمن مـا يمتـد- إلى أرض لبنـان، وشـاطئ لبنـان، وبحر لبنان.

وقد وصل الأمر في حسن نوايا السعودية تجـاه العلـويين منـذ الـسبعينيات إلى حـد أنهـا دعمت ومولت خطوات كثيرة تحفظ ماء وجه النظام السوري في لبنان على الـرغم مـن أن النظام السوري كان لا يبالي بالإسـفار عـن وجـه قبـيح إلى أبعـد الحـدود، مـستلهما تجـارب

العسكريين العرب المؤطرين بأطر تقدمية (غير حقيقية) في القمع غير المبرر، والتعذيب غير المحدود، والانتهاك الذي لا يتوقف لكل حق في الحياة بعد الانتهاك المطلق للحق في الحرية والكرامة.

كانت الاتفاقات التي رعتها المملكة من قبيل «اتفاق الطائف» المبكر بمثابة فرص (ولا نقول فرصة) ذهبية للنظام الأسدي لتعيد النظر مليًا في تمفصل ومفصلة وجوده لترتبط هذه الرؤية بإنجاز تنموي بدلًا من ارتباطها بطراز متخلف من تفوق عنصري.

ومن اللافت للنظر أن معطيات ومهيئات الإنجاز التنموي كانت متاحة وبازغة بأكثر بكثير من متطلبات فرض السيطرة العلوية، لكن الترتيب الشيطاني لطموحات الإنسان المتسلط كان يدفع بالنظام الأسدي في كل خطوة من مساراته إلى الارتماء في أحضان كل فكرة وكل توجه معاد لتطلعات وحقوق الأغلبية السورية.

٥

وسرعان ما تطور هذا الخيار الشرير إلى نزعات ترحب بالعدو التقليدي (من قبيل الدب الروسي) استنزافا للصديق الفطري الذي هو أخ وشقيق كما أنه صديق.

وأصبح النظام الأسدي يمضي في طريق تاريخي فريد في ملامحه وفي ظلاله الممتدة على جانبيه..

- فهو يحافظ على رقبته الطويلة بتسليمها للأيادي الغليظة.
- وهو يحقق البقاء بالذوبان، لا في سائل معروف القدرة وإنما في حالة سائلة ليس لها وجود منصف ولا طابع مصنف، وذلك من قبيل الوضعية الاستقطابية الناشئة من ثنائية المواقف في الخلاف حول أوكرانيا، وما استتبعته هذه الوضعية (الطارئة في بداياتها) من ثبوت حقيقة الاختلاف الروسي (بل التخلف الروسي) في العصر الأوربي، ثم ما استتبعته هذه الوضعية من حاجة سياسة روسيا إلى تيار ما تقوده لتكون بمثابة قائد دولي (ذي حلفاء أو اتباع) في عالم مائج بالمعطيات يبحث عن قادة دوليين.

بيد أن استدعاء روسيا لإنقاذ الأسد لم يقف عند هذ الحد المفهوم، وإنما تعقد ليشمل الظاهر والباطن المتناقضين، وليصوغ جدلية معهودة ومعروفة وقابلة للتكرار مع كل

ديكتاتور صغير منتفخ ومتضخم:

- يحقق «ظاهر» الاستقلال بتكريس التبعية.
- ويحقق «رنين» الانتصار بقتل الأبناء.
- ويحقق «لذة» الاستمرار في السلطة (أو بعبارة أدق، الوجود السلطوي) بالمسارعة المحمومة في تنفيذ سياسات نفي الآخر أيا كان الآخر.

٦

وإذا أردنا الواقع الحي فإننا نرى تبدد الوهم فيما قيل من أن مسارات التفاوض والتفاهم والاستطلاع في جنيف وفيينا وميونخ ربما تكفل تقريبا لوجهات النظر أو أساسا للوصول إلى صيغ وسطى، ذلك أن النفسية التي يدخل بها نظام بشار إلى التفاوض ليست نفسية مفاوض، وإنما هي نفسية متربص يكاد يقول لمفاوضيه: ها أنتم أمامي بإرادتي لا بتضحياتكم، ولو أنكم كنتم أحرزتم شيئا لكنت أنا الذي يبحث عنكم، لكنكم تأتونني في حصني الأوربي أو الغربي الذي يحميني لأنني مجرم من طراز مطلوب لهم، لا للعدالة ! بينما يفخر إنسانيا بلقياكم دون أن يعبأ عمليا أو سياسيا بهذه اللقيا.

من هنا كانت طبائع الأشياء تستدعي تدخلا قويا في مواجهة الأسد، وأن تكون قوة هذا التدخل مشجعة للمتحفظين التقليديين للانضمام للتدخل والتصفيق له، تبعا لسياسة المراقبين الذين لا ينحازون إلا للأقوياء ولا يصفقون إلا للمنتصرين.

٧

لقد فوتت قوى عربية كثيرة فرصًا سنحت لها للانحياز الذكي في الوقت المناسب إلى إرادة الشعب السوري في صياغة واقع جديد يجمع بين الأفضلية والقبول، لكن ليس معنى هذا أن يستلذ العرب تفويت الفرصة على نحو متكرر مهما كانت المخاطر الناجمة عن التباطؤ في التدخل المستدعى بقوة وإلحاح.

يقول الذين درسوا علم النفس السياسي بكل وضوح إن أقصى طموح بشار ينحصر الآن في أن يفوز بتوكيل حصري ليكون مجرد وكيل أو مندوب لقوة أعظم منه تستطيع حماية وضع سياسي هجين وشاذ، فهل يمكن لقوى إقليمية من طراز عربي أن تكون داعمة بالسلب أو السكوت لمثل هذا التصور المريض الذي هو كفيل -إن تكرس- بأن يرفع من

قيمة البلطجة المعاصرة لتكون سببا من أسباب الشرعية والمشروعية معا في العالم العربي؟

تعقيبات

القط مشمش:

هل ينكر الكاتب أنه في عصرنا الحالي لا يوجد أمام أية دولة في العالم سوى أربعة مصائر: أن تكون قوة عظمى، أو وكيل لقوة عظمى، أو خادم لقوة عظمى، أو طعام لقوة عظمى. الاستقلال التام وهم تام لا يحق لأى دولة مجرد الحلم به إلا عند تمكنها من إنتاج الحد الأدنى من احتياجاتها الأساسية من الطعام والكساء والدواء والسلاح، وهذا غير متاح في عصرنا إلا للقوى العظمى ووكلائهم. أما الحرية فلا تتحقق إلا إذا اتحد الشعب بأكمله ضد الطغاة»، والشعب العربي مقسم إلى عشرات الدول ومئات التيارات والطوائف واتجاهات المصالح.

hossam maroc:

..... ففي ظروف المآسات المضرجة بالدماء والدمار والألم يصعب إعطاء وجهة نظر حتى ولو كانت نفعية على المدى القريب أو البعيد للشعوب الممزقة بالاقتتال، ونحن مع مقال يطرح أنسب الحلول المتبقية لمشهد صار الأكبر كارثيًا في الألفية الثالثة فإننا أمام خيارات الأحلى فيها شديد المرارة . وإذا كان القدر فرض على الشعوب لحظات عسيرة كهذه فالواجب والواجب لهذه الشعوب تكميل المبارزة حتى النهاية وإن لم يتحقق نصر تاريخي يدرسه الأجيال فعلى الأقل ستعيش به تلك الأجيال سنين طويلة من الكرامة.

elsayed belila:

لكل الأخوة العرب احذروووووووووووا وثيقة صهيونية لتقسيم الوطن العربي والشرق الأوسط: في عام ١٩٨٢ نشرت مجلة «كيفونيم» التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية ، وثيقة بعنوان «استراتيجية اسرائيلية للثمانينات» .

أحمد:

العرب والجامعة العربية ومجلس التعاون هم السبب الحقيقي لتفاقم الأزمة في سوريا ووصولها إلى ما آلت إليه فخوف دويلات الخليج من وصول الثورة إلى حديقتها الخلفية دعاها إلى حجب الدعم الحقيقي عن الشعب السوري المظلوم، وبعد انقلاب اليمن أحست السعودية بالخطر فانتفضت ولكن جاءت انتفاضتها متأخرة جدا خاصة بعد التدخل الروسي.

رعد:

هذا هو الحال بسوريا .....الرجل وزوجته على خلاف دائم وحرصا على ترابط الأسرة عمل الرجل المستحيل لإبقاء الرابطة الأسرية من أن تصل إلى الطلاق البغيض هذا بالرغم من علم الرجل بأن زوجته تخونه بالسر لدرجة وصلت بالنهاية إلى العلن والأنكى من ذلك تريده مندوب تسويق لديها، للعلم الزوج هو المعارضة السورية، والزوجة بمقام الطغمة الحاكمة ؟؟

❑

الفصل السادس
حدود الصراع في الشرق الأوسط

١

كأننا التاريخ وهو يستحضر هذه الأيام روح محمد رضا بهلوي شاه إيران، وقد تلاقت في العالم الآخر مع روح توأمه الأميرة أشرف التي توفيت في ٢٠١٦ عن ٩٧ عامًا. يستحضر التاريخ روح الشاه الأشهر فيجده يتذكر العقود الأربعة الأخيرة من عهده، والتي تمتد منذ قيام ثورة ١٩٥٢م في مصر وعودته لعرشه بتدبير من الأميركان، وحتى قيام الثورة الإسلامية في إيران.

يجد الشاه نفسه فخورًا بما حققه من إنجاز حضاري وتكنولوجي لا يزال مثمرًا بفضل متانة نسبية في البناء العلمي والتعليمي الذي خطا فيه خطوات واسعة تميل لها الكفة تمامًا إذا ما قورنت بحال مصر التي دفن فيها والده، ثم قدر له أيضًا أن يدفن هو نفسه فيها، وقدر له أيضًا أن تكون إحدى أميراتها هي أولى زوجاته حين لم يكن قد بلغ العشرين بعد وقد امتدت حياتها حتى ٢٠١٣.

يتأكد هذا الشعور بالفخر والرضا عند الإمبراطور محمد رضا حتى إن كان لا يزال ابنه أو ولي عهده يرى -عن حق- أن خصومه التقليديين من الملالي قد أفادوا من هذا التقدم العلمي (بما فيه النووي) بأكثر مما كان ممكنا له أو لوالده من قبله (أو لولده من بعده) أن يفيد، وذلك لسبب واحد يتصل بتضاعف حماس الملالي لما يعلنونه في ظل تصاعد عداوات يستجلبونها ليسددوا بها -بذكاء بالغ- استحقاقات داخلية في الغالب، وخارجية في بعض الأحيان.

٢

وإذا جاز لنا أن نمضي في تأمل المسارات البديلة للتاريخ، فإننا نجد ما يسمى بالشرق الأوسط في أعقاب الحرب العالمية الثانية يتخذ موقفين متناقضين مما وصف بأنه فكر (أو تفكير) بريطاني الأصل، مع ما في هذا الوصف من اختزال خبيث أو مقصود للقومية والوطنية معا؛ ذلك لأن مجموعة الدول العربية المستقلة أو المتحققة الوجود في مصر

وسوريا والعراق والسعودية واليمن وشرق الأردن ولبنان، تقبلت فكرة جامعة الدول العربية بقدر أكبر بكثير من تقبلها لأحلاف إقليمية مفيدة ومنطقية أكثر اتساعًا، كحلف بغداد أو حلف حيدر آباد... إلخ.

ولم يكن هناك في الواقع مبرر اقتصادي أو اجتماعي لمثل هذا الموقف المتناقض إلا تصاعد ذروة الحماس المصطنع لتوظيف فكرة القومية العربية لمصلحة توازنات أخبث منها، على نحو ما تم توظيفها في نهاية الحرب العالمية الأولى للحيلولة دون وجود أو تطور فكرة الخلافة الإسلامية إلى صورة عصرية تقابل أو تناظر ما حدث مع الممالك والإمارات الأوروبية في العصر الحديث، بعد أن خاضت فرنسا تجاربها الجمهورية المتكررة والمتعاقبة بظلالها المريرة، وبعد أن خاضت ألمانيا تجارب إعادة التشكل، وبعد أن نجح النموذج الأميركي في الحفاظ على ما سمي بحالة الاتحاد التي استنقذها (بديلا للتشرذم) لقارة كبيرة بحروب عنيفة الطابع عفية النصر.

٣

وفي مقابل هذا، كانت هناك تجربة روسية في التمدد والتوسع تحت راية مذهبية عابرة للقوميات نسبت نفسها للتجمعات أو السوفييتات، بل متخذة من مصطلح السوفييتات اسما لإمبراطورية شاسعة كان من الصعب عليها أن تعمر وأن تبقى، ومع هذا فقد عاشت عدة عقود لاهثة وملهثة لنفسها ولغيرها.

ولم يكن ممكنًا لدعاة القومية في الشرق الأوسط أن يفهموا، ولا أن يصرحوا بأن دعوتهم لن تصنف عند الاستعماريين (القدامى والمحدثين على حد سواء) إلا على أنها بديل أقل خطرا، وبالتالي أكثر قبولًا من الإسلام الذي هو السبب الأعمق في صعود القومية العربية، ولا نقول وجودها ولا صمودها فحسب.

ومع هذا فقد استنام الغربيون ومعهم العروبيون إلى فكرة أن عربان الثالث (وهو اسم رمزي للجيل الثالث من حكام عرب في قومية إسلامية ما) سيكون أفضل من عربان الأول (وهو أيضًا اسم رمزي للجيل المؤسس من حكام عرب في قومية إسلامية ما)، بيد أن العامل الإيجابي والمفيد للعروبيين -والذي لم يحسب الغرب حساباته- كان غريبًا جدًا على النظريات الاجتماعية والسياسية الحاكمة للتفكير الإستراتيجي السائد في تفكير

المدنيات الغربية الحديثة.

٤

وقد تمثلت هذه المفاجأة المذهلة في أن فكرة القومية العربية صبت في النهاية في سبيل توكيد الهوية الإسلامية وليس في سبيل استبدالها أو إضعافها أو القضاء عليها، وهكذا تحول فكر أصحاب المبادرة إلى البحث عن طريق جديد في مخاتلة المارد الإسلامي وموارده غير المنظورة.

ومن الملاحظ للكافة أن طريقة البحث عن الاختلاف في الإسلام والبناء عليها لا تزال تمثل فكرة منطقية في بعث وتأجيج الخلافات القاتلة في داخل الأرض الواحدة (أو في داخل حدود السيادة التي صيغت الخريطة العالمية الحالية على أساسها).

ومن باب أولى فإن هذه الفكرة أو الأسلوب تصبح كفيلة بخلق النزاعات الإقليمية ومن ثم الاستثمار فيها، لكننا نظلم الحقيقة إذا قلنا إن الاستعمار بنى جزءًا كبيرًا من نجاحاته في الماضي على استثمار الخلافات من خلال ما عرفناه اختصارًا بسياسة: «فرق تسد»، ذلك لأن الخلافات نفسها كانت أكثر من مشجعة على الاستثمار، والاستثمار المتكرر من ناحية.

ومن ناحية أخرى فقد حظي «التحكيم الاستعماري» نفسه في هذه الخلافات بكثير من القبول في حالات متعددة، بل إنه حسم كثيرًا من القضايا بمنطق سليم ربما نفتقده الآن.

ومع أن الشرق الأوسط يبدو **بمثابة مستودع للانفجارات الجاهزة**، فإننا لا نستطيع أن ننفي أن رصيده من الخبرات الإستراتيجية والخيارات العملية بات متفوقا، وهو ما تدعم وتعمق بشدة غير مسبوقة من خلال رؤية وتأمل الآثار الحتمية للتخاذل الدولي في قضية فلسطين عبر سبعين عاما، أو للتواطؤ الغربي في السكوت المستمر على جرائم الانقلاب العسكري في مصر عبر ثلاثين شهرًا.

٥

ربما كانت خبرة الشهور الثلاثين المرئية أعمق تأثيرًا من خبرة السنوات السبعين

التاريخية، فقد عاشها المعاصرون جميعًا بحواسهم كلها في عصر الإعلام الجديد بسطوته البالغة في إضاءة الحقيقة ونفي التزييف.

وقد بلورت هاتان الخبرتان مواقف حاسمة جعلت أطراف النزاعات الحالية في اليمن وليبيا وسوريا ولبنان وإيران أقل استجابة لما هو معهود من معسول القول وعمومياته في النزاعات التي تنتدب لها الأمم المتحدة من يتولى تخدير مظلوميها لمصلحة القوى العظمى أو لمصلحة من يحظون معها بعلاقات أوثق من علاقات الأطراف المتنازعة الأخرى.

وعلى سبيل المثال الصارخ في تناقضاته، فإن الإدارة الأميركية التي بدأت تدعو لتقييد حيازة مواطنيها للسلاح، لا تستطيع الآن أن تفكر بأمل كبير في جدوى إقناع اليمنيين أو الليبيين بمثل هذه الفكرة بعد كل ما أصبحوا يرونه من القتل على الهوية في عاصمة كبيرة مثل القاهرة، مع تغاض أميركي وغربي تامين عن فظائع هذه الحوادث إذا كان ضحاياها من الإسلاميين، في مقابل استنفار تام أممي وغربي في الحالات الأخرى.

وليس سرًا أن مجتمع القضاء في مصر -وهو مجتمع عريق ومتمرس- بدأ يفكر في هدوء وبعمق في حدود فلسفة وممارسة التجرد والولاء، بعد ما رأى قضية مقتل النائب العام نفسه تمضي لمدة طويلة في نفق لم يعد مجديا أن تخرج منه مهما كانت المعجزة الإعلامية أو العلمية التي قد تحاول في سبيل إخراجها من النفق.

٦

يأتي النزاع الإيراني السعودي اليوم في هذا السياق الظاهر ليضع الطرف صاحب الاستنفار الأعلى -الذي هو إيران- في مواجهة الحقيقة القائلة إن حكومتها دون غيرها ومعها جناحها العسكري غير التقليدي (الحرس الثوري) هي التي مضت بعيدًا في الانتصار بالدم للتوجهات المتحالفة معها أو المدفوعة منها في سوريا واليمن، مع تصريحات مواكبة تستشعر الفخر بالنشوة الإيرانية من طول ذراعها الفاعل في مقابل ما تصفه هي بطول ليل الآخرين أو تخاذلهم.

ويأتي هذا النزاع من ناحية أخرى ليورط نفسه -عن «استسهالية» وانتهازية غير محسوبة- في تحالف إيراني مع روسيا لا يجلب لأذهان المسلمين إلا كل ذكرى مؤلمة لكل ما حاول المسلمون تجاوزه من أدوار غير إنسانية قام بها السوفييت في مواجهة جموع

الشعوب الإسلامية في الهند وباكستان والصين وبورما وأفغانستان والشيشان والبوسنة وكوسوفو وتركيا وتنزانيا... إلخ.

وقد كان الخطير في الأمر أن ما تسمي نفسها الجمهورية الإسلامية في طهران، أخذت تنزلق بكل نعومة إلى تحالف مع الشيوعيين ضد المسلمين، وهي خطيئة شعبية لم تقع فيها حكمة الدول العربية الحريصة على صبغتها الإسلامية طيلة أكثر من ثمانين عاما، على الرغم مما قد يثار في وجه مناصريها من انتقاد صريح وقوي لدعمها لبعض الطغاة المسلمين ضد أغلبياتهم المسلمة.

ومع أن إيران -من ناحية ثالثة- تتمتع بنفوذ فعال في وسط نخبة إعلامية عربية مؤثرة، فإن هذه الأقلام المحنكة المتمرسة فشلت حتى الآن في أن تحمي إيران من حالات التوحيد والضم في الهجوم المكثف على سلوكياتها الإستراتيجية والسياسية.

٧

ولا شك في أننا جميعا نعرف أن الصحفيين والكتاب العرب لا يزالون يفرقون بين الصهيونية واليهودية، ويتحسسون ألفاظهم حين يقتربون من هذه المنطقة الحساسة في نظرهم، لكننا في المقابل نجد إيران الحالية، وهي لا تكاد تحرك ساكنا حين توصف بثماني صفات مختلفة ومتباينة لكنها أصبحت في عموميات العقل العربي الجمعي وكأنها مرادفات معبرة عن شيء واحد، رغم أنها ليست كذلك.

ومن الطريف أنني أثير هذه النقطة منذ أكثر من ثلاثة أعوام من دون أن تعنى إيران الرسمية -بأية صورة من الصور- بأن تفرق بين صفاتها الفارسية والقاروشية والعجمية والمجوسية والصفوية والشيعية والشاهنشاهية والإيرانية.

تعقيبات

إيهاب عبدالله:

التاريخ يعلمنا أن أي إتحاد وجمع على أساس قومي أو إثني قصير العمر ، و كان وسيكون مصيره الضعف والتفكك، لأن المصلحة الفردية/ الشخصية أو للدولة الواحدة أقوى من المصلحة الجمعية بالفطرة أو الحسابات السياسية. هنا يتميز الجمع أو الإتحاد الإسلامي حيث إن المصلحة الفردية والنجاح والجنة تتحقق فقط بالإحسان والنصرة والصبر مع الجماعة والتحذير والعقاب والفشل والنار في الفرقة والخيانة (أسميها المكون/ المحفز الرباني) ويبلغ العرب والترك والأفارقة وغيرهم العزة فقط بالإسلام

الوسطي المحسن في الاختلاف.

ضياء بن طالب:

من المهم جداً في هذه المرحلة (الانتقالية) التي تعبر من خلالها المنطقة بقايا الترتيب الوستفالي القائم على الحدود القومية إلى النظام المستند على المعتقدات المشتركة: دينية أو سياسية أو اقتصادية، أن ينبعث أهل العلم والفكر والسياسة من المسلمين إلى إطلاق منبر حوار مستقل متجرد عن مؤثرات المصالح الآنية لتهيئة الشعوب للقبول بإطار جامع قابل للتعايش..

❑

الباب الثالث
المراوحات الأمريكية المبررة

الفصل السابع
أميركا تبحث عن قطبية جديدة في عصرها

١

كانت تصريحات الرئيس الأميركي باراك أوباما الأخيرة لمجلة أتلانتك بمثابة إعلان صريح عن نوايا أميركية قادمة قد لا تكون صادمة تجاه المشرق العربي أو ما يسمى بالشرق الأوسط.

ومع أن الشواهد كانت تشير إلى الطبيعة المعاكسة أو غير الودية لكثير من التوجهات الأخيرة في السياسة الخارجية الأميركية، فإن تاريخًا طويلًا من التحالف كان يميل بالعرب إلى ترجيح حسن الظن، حتى نطق الرئيس أوباما بما كنا نغرد به خارج السرب حين كنا نقول إنه يؤمن به، وإنه يمارس تقنية موازية للتقنية المتعارف عليها عند بعض الشيعة بمصطلح التقية.

وقد تصاعد حجم الاندهاش من خروج هذه التصريحات عن معظم علامات الحدود المرسومة في الخط المتصور لعلاقة أميركا بالسياسات العربية، بل واندفاعها أو ميلها إلى تبني وجهات نظر معاهد بحثية متأثرة و«متأطرة» بعلاقات محدودة وبنظرات أكثر محدودية مما يستحقه الأفق الأميركي المعروف باتساعه في مجال رؤيته للأحداث والتاريخ على حد سواء.

٢

ليس من المتوقع أن يخلو أي لقاء قمة عربي أميركي مرتقب من إظهار القادة العرب لقدر من التبرم المبرر من هذا القدر المفاجئ من التنصل من علاقات خارجية تقليدية بدعوى الاختلاف مع إطار فكري ظل ثابتًا ومحترمًا لنصوصه وأبجدياته وبما لا يسمح بتوجيه أي انتقاد لمضامينه الفكرية. وربما تعدى الأمر درجات الخشونة الحوارية إلى مستويات أخطر من تغييب الحوار نفسه؛ أي الإعلان عن تأجيل موعد اللقاء، وربما كان الطرف العربي هو الأكثر ميلا إلى تغييب لقاءات الحوار أو تأجيلها.

ومن الطريف هنا أن نشير إلى أن معظم الباحثين الدوليين والمحليين في الشئون

الأميركية كانوا قد تعودوا على احترام الفكرة القائلة بمحدودية دور الرئيس الأميركي فيما يعلنه ويتخذه ويتفاعل به من سياسات، وكان هؤلاء ولا يزالون يقفون بهذا الدور عند حدود المايسترو المقتدر الذي يجيد قيادة الفرقة الموسيقية في عزف سيمفونية معدة سلفًا أو مؤلفة جيدًا.

وظل هذا الاعتقاد -وربما لا يزال- يجد ما يدعمه من تصريحات وسياسات إلى أن جاء رئيس شاب كان -فيما بدا من أدائه بوضوح شديد- أضعف من كل أسلافه، وقد بدا التناقض في تصريحاته وتكرر التردد في قراراته، كما ظهر التأرجح في تقييماته، فإذا بالمفاهيم التقييمية تنتقل من تقييم القدرة على الأداء المحترف إلى محاولة البحث عما يبرر القبول بالأداء التلقائي على نحو لا ينتقص من هيبة الروح الإمبريالية للولايات المتحدة، ولا ينحو أيضًا بالأداء الرئاسي إلى الوقوف تحت مظلة الذرائعية!

٣

قبل أن تحاول المفاهيم التقييمية أن تعدل أو تحور في جواهرها المستقرة كان الرئيس نفسه يواجه الحاجة الملحة إلى تقنين آلية التسويغ، وضبط دوافع التبرير في مضمون ردوده على الشباب وعلى رجال الصحافة ممن ينقلون أصداء احتجاجات الأجيال الشابة وسخرياتهم من تذبذب مواقف الرئيس ونكوص قراراته وتراجع مثالياته.

ولا جدال في أن الإحباط المعنوي من تراجع مستوى سياسات أوباما كان يرفع صوته عاليًا حتى لا يبدو أن هناك فرصة لصوت آخر في الأجواء الأميركية، فإذا برنين الدولار ومشتقاته يعلن انتصارات متوالية لقيمة العملة الأميركية على كل عملات العالم بلا استثناء، فيعود إلى الأميركيين شعور ما بالزهو يجعل جيوبهم المنتفخة الأوداج تلطف من مشاعر الوجنات التي أخجلها الاحمرار من تراجع الضمير والمنطق الإنساني في سياسات رئيس كان واعدًا حين عمده العالم مبكرًا بجائزة نوبل للسلام قبل أن ينجز أي سلام وكأنه يقول له: يكفيك من السلام جائزته الكبرى فاعمل لغير السلام والعدل ما كان يفترض أن تنجزه للسلام والعدل.

٤

مع أن ساسة العالم وكتابه يعرفون حق المعرفة أن أميركا حرة في أن تنتهج ما تشاء من

سياسات معادية للسلام أو متجاهلة له، فإنهم يعرفون أيضًا أن هناك نوعا آخر من الالتزامات الحاكمة استأثرت بها أميركا لنفسها حين نادت متحمسة بما أسمته النظام العالمي الجديد، وكانت مناداتها الصريحة المتحمسة من الوضوح والجلاء بحيث لا يمكن لها أن تتراجع عما جاهدت في سبيل الحصول عليه إلا بأن تعود من سياسة القطب الواحد إلي سياسة القطبين.

ومع أن المنطق يرى في مثل هذا الارتجاع المريض -ولا نقول المرضي حتى لا يكون اللفظ ملتبسًا ما بين المرض والرضا في مقام يتحرى فيه الوضوح- استحالتين (منطقية وعملية) فإن الرئيس الأميركي أوباما نفسه بدا مشوقًا بشدة وشغف إلى أن يجرب هذه «الارتجاعة» حتى إنه شجع التدخل الروسي في سوريا، واستحث عملية تخليق استقطاب تركي روسي حاد، كما شجع في المقابل على تسريع وتفعيل حوار إيراني روسي، قابل أيضًا للانفجار.

وبدا في مقام رابع متهاونا تماما في مواجهة النشاط الروسي الإستراتيجي المحموم في الجمهوريات الإسلامية التي كانت محتلة في جنوب الاتحاد السوفييتي، وبدا أيضًا محافظًا على درجات من الحدة والاشتعال في الخلاف الأميركي الروسي في الملف الأوكراني، وبدا سادسا مرحبا -مع قدر من السخرية- بأن ينتمي الانقلاب العسكري المصري للأيديولوجيا الروسية القديمة؛ أي الأيدولوجية الإدارية السوفيتية التي التحقت فكريا وعلميا وفلسفيا بعلوم الآثار والحفريات إلا عند عدد من موظفيها المصريين المتقاعدين.

٥

لم تكن صدفة فيما بعد تعدد وتكشف الجهود الأميركية الزاعقة الفشل في هذه «**الرحلات السياسية المستنقعية**» عبر الكرة الأرضية أن تلجأ الولايات المتحدة الأميركية وبسرعة إلى ميدان تثبت فيه أنها لا تزال حريصة على ما وصلت إليه من نجاح في إحراز سياسة الاستحواذ لنفسها وشعبها المختار على مكانة ووضعية ومهابة القطب الواحد في نظام عالمي جديد لا يعترف لروسيا إلا بدور تمثيلي، ولا للصين إلا بدور تصنيعي، ولا لأوروبا إلا بدور تاريخي، ولا للإسلام إلا بدور عدائي.

ومن الإنصاف أن نعترف للمؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة بالذكاء الصناعي

المتقدم حين اختارت المسرح الكوبي في هافانا لتعزف عليه عدة سيمفونيات متوالية تؤكد بها على أنها لن تتنازل عما وصلت إليه من أحادية القطب على الرغم من هذه الاندفاعات الفاشلة والسكتات المفاجئة التي انتابت قيادة «مايستروها» الأخير للفرقة الموسيقية.

وهكذا استعادت أميركا من خلال سلاح الإعلام والصورة زخم قوتها المعنوية في شهور قليلة؛ فها هي -وهي الدولة البروتسانتية بالأغلبية والسلوكية- تأتي ببابا الفاتيكان لزيارتها وزيارة كوبا؛ وفي زيارتها يقبل البابا منحنيا يد ملياردير أميركي داعم للأنشطة الكنسية؛ ولأن النجاح يغري بالنجاح فإن أميركا من تحت الشاشات والمناضد -أو من خلف الكاميرات والمقاعد- تنظم زيارة أخرى لبابا الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا ليلتقي في كوبا مع بابا الكاثوليك الذي يعود لزيارة كوبا خلال شهور من زيارته الأولى، مع أن هافانا لم تكن أبدا من محطات زيارات الباباوات الكثالكة، ولا تملك لاهوتيا ولا كنسيا ما يؤهلها لذلك.

٦

وهكذا تنعقد في خاصرة الولايات المتحدة الأميركية «البروتستانتية» **أواصر المحبة المسيحية المسيحية الغائبة والمغيبة منذ ألف عام**؛ لكنها لا تعود إلا تحت أضواء المسرح لساعات تنتهي بالتوقيع المشترك على مانفيستو فلسفي لاهوتي طويل لن يذكر منه بابا الكاثوليك ولا بابا الأرثوذكس اللذان وقعاه كلمة واحدة.

ثم تتوج الولايات المتحدة هذا الأداء المسرحي الاستعراضي الممتع بزيارة تاريخية وعائلية وسياحية يقوم بها أوباما وعائلته لكوبا بعد ٨٨ عاما من آخر زيارة لرئيس أميركي لكوبا، وبعد أكثر من نصف قرن من أزمة خليج الخنازير، وكأن أوباما قد وحد العالم المسيحي أخيرًا على نفس المسرح الذي شهد الذروة في الحرب الباردة بين مسيحيين تركوا الإيمان ومسيحيين آخرين حافظوا عليه كما قد يحلو لرجال الكنيسة أن يؤرخوا للحرب الباردة.

وبعد أن يقود أوباما عزف هذه السيمفونية بنجاح واقتدار أو في ذات وقت العزف فإنه يبدأ في عقد المقارنات «الخفية» أو «غير المصرح بها» بين عالم مسيحي توحد أخيرًا بفضل إدارته حتى وإن كان التوحد مسرحيًا فحسب؛ وبين عالم إسلامي يعاني من

الافتراق بين السنة والشيعة رغم أنه (وأنه هو نفسه على حد قوله المفاجئ) نصح السعودية وإيران!! بشيء من قبيل الحوار أو التوافق، بينما العالم كله يعرف أنه لم يفلح في أي أداء سياسي مارسه بقدر ما نجح في تأجيج الصراع بين السعودية وإيران بكل ما هو ممكن من تنظير للخلاف أو تأطير للأحداث في صورة الخلاف المستحكم، وذلك على الرغم من أنف الأحداث وعلى الرغم من أنف الحقيقة.

لكن تزاحم التقارير والتفصيلات كفيل بأن يستر التناقضات ولو إلى حين، وهي خاصة باتت سياسات الولايات المتحدة ومذكراتها الدبلوماسية تفيد منها على نطاق واسع.

٧

وفي هذا الصدد أذكر على سبيل المثال طرفا من حوار طويل مع صحفي أميركي من العازفين للألحان التي يقودها أوباما حين ذكر لي بكل ثقة -وهو لا يدري مدى التناقض في كلامه- أن مما أخذته الإدارة الأميركية على الرئيس محمد مرسي أنه أسهم بصورة بالغة في إساءة معاملة الشيعة في مصر؛ فساعد أولًا على اضطهادهم بل وقتلهم، ثم مضى ثانيًا بخطوات واسعة في خلق نفوذ إيراني في مصر بدءًا من تعاون سياحي وخط طيران وزيارة رسمية.. الخ!.

وحين أوضحت للصحفي الأميركي المرموق العلاقة بين إيران والشيعة وراجع ما ذكرته من أوليات ووجده صائبًا؛ فإنه أخذ يسخر من نفسه ومن «تكويم» الإدارة الأميركية للمتناقضات في فقرة واحدة من تقرير واحد يستخدم المتناقضات كمبررات متآزرة، وقد أعجب الصحفي الأميركي بوصفي للتقرير بأنه «أملاه الهوى الصهيوني مع تعاون انقلابي غير ناضج بالطبع».

٨

واليوم.. تقف الولايات المتحدة على شفا انتخابات رئاسية جديدة ستنتهي بالطبع في موعدها المحدد بفوز مرشح واحد وحزب واحد وسياسة واحدة لكنها -أي الولايات المتحدة الأميركية- في الوقت ذاته أي وقت نهاية الانتخابات الرئاسية ستنتهي من مناظرات ومعارك تلك الانتخابات بوجدان متمزق فيما يخص علاقتها بالإسلام: هل تتمادى في

إعلان الحرب عليه؟ هل تنقلها من حرب مستترة على الإرهاب كما تقول أدبياتها الملبسة إلى حرب صريحة على الإسلام كما تقول سياساتها الصريحة العداء لأرواح المسلمين؟ وهذا هو السؤال الذي ستتهرب الولايات المتحدة بكل مؤسساتها في الأغلب من إجابته.

٩

ثم نأتي إلى أسئلة أعمق:

- هل تميل الولايات المتحدة إلى الملل من التعقيدات التي تراها في علاقات العالم القديم فتتمنى الخلاص من ملف العالم الشرق أوسطي خلاصا من دوافع الاكتئاب ومن ظلال فلسفة «إيمانويل كانت»؟
- وهل تعيد أميركا التفكير من منطلق إنساني فتتجنب السقوط بمنطق «شوبنهاور»؟
- وهل تعيد التفكير من منطلق تاريخي فتتجنب مضاعفات الصراع المسوق المستلهم من «فاوست»؟
- وهل تمارس الذاتية بشغف فتسرع من مسار تاريخها الدامي والدموي بمنطق «نيتشة»؟
- أم أن الولايات المتحدة يمكن لها أن ترقى إلى منطق «جوتة» فتقول عن حب وعقل واتزان: إن كان الأمر كذلك فإننا كلنا مسلمون؟

تعقيبات

نور:

أحسن الكاتب رسم الصورة ولا يبقى للعجب مكان. كل شيء يبدو في أميركا ممكنا كما هو الحال في أفلام هوليود. وكم من الدول ذاقت الويلات منها عسكريًا واقتصاديًا إلا في عهد الأخير الذي لم يأبه للقوة المخولة له ونحّى جانبًا شعارها من عصى أو تمرد على قيمنا ومبادئنا هوى، وترك الأمور تجري في أعنتها لا يبالي، وقلب المفاهيم التي تعود العالم عليها رأسا على عقب، وخربط عقول الحكام العرب، وأصبحنا أهلًا بكم في أميركا الجديدة. فيلم مدهش!

مصري:

كل ما يحدث منذ عشرات السنين أن الكون يتفاعل لينتج أمرًا كان مفعولًا وهو تكوم العالم إلى فريقين فريق الإسلام وفريق آخر يجمع آلاف الرايات المتحدة ضد الإسلام. لكن لكي يحدث هذا

الحدث الجلل يجب أن يفيق المسلمون مما هم فيه حتى يصيروا أهلًا لهذا اللقاء المنتظر وهم الآن يدفعهم أعدائهم دفعًا وبكل إصرار وجد للصحوة بعد الغفلة، وسيأخذ الأمر الزمن الذي قدره الله له، وسيحاول المسلمون بعد الانتباه الأولى مكابرة الإقرار بالحقيقة ثم لن يلبثوا أن يقروا بها مكرهين وقد حاصرهم الجميع مغرورين بضعفنا. فما يحدث عاقبته خير.

Fadi Aloun:

الأيام دول: الولايات المتحدة ليس لها من الأمر شيء إلاّ أن تشوّش على قوى صاعدة (تركيا نموذجاً) تسمح لمواطنيها بالبحث والتطوير العلمي ولديها طموح لتصحيح مسار الحضارة المنكوبة.

ناصح:

كما هو معلوم فإن السياسة الأمريكية تنبع من الداخل إلى الخارج، أمريكا الآن في حالة نقاهة من أزمات اقتصادية واجتماعية، وهي تبحث لنفسها عما يشبه التقاعد المؤقت المريح. فهي لن تتدخل مباشرة في أزمات العالم و تسيء التقدير كما فعل بوش، عندما أصابه غرور القوة وظن أن لدى أمريكا قوة خارقة فانتهى بأمريكا إلى حالة من الإرهاق الاقتصادي وحتى الفكري. أظن أن سياسة أوباما هي استدراج الخصوم حتى يتكاثر عليهم الأعداء و يستنزفون أنفسهم تحت غرور القوة، في نفس الوقت الذي يترك حلفاء الأمس ليتحملوا أعباءهم بأنفسهم.

طلال الفرماوي:

أمريكا هي تتار هذا العصر، والصدام بينها وبين الإسلام في طريقه وإن طال الزمن، ولن تدخل في الإسلام إلا بإنكسارها تحت أقدام أبنائه ولن يكون ذلك إلا بالإيمان والعلم والتوحد حول راية واحدة يلتف حولها المسلمون فأسأل الله لها الهداية ولكل الناس وأن يأتي بالمسلمين إلى ربهم راغبين

محمد الحصان: ابن الخلافة:

هذا العصر هو عصر الإسلام وليس عصر أمريكا إلا إذا سمح المسلمون لها بذلك .رؤية أمريكا للعالم كالقوة الوحيدة ستهلكها ماديًا(للجوئها الدائم لعسكرة مصلحتها) إضافة إلى آلات بلطجية ناعمة، وستقوض أي أمان تحوذه بسبب ذلك .زعماء الدول قد يتعاملون معها كأمر واقع (مثلًا بوتين) ولكن الشعوب وبالذات الشعوب الفقيرة وشعوب أوروبا لن يبقوا أداة طيعة بيد الحكام أمام هذا الجنون الرأسمالي الاستعماري، ولنا في الثورة الشامية خير مثال .والله أعلم.

جلجامش:

كل ما قاله أوباما لم يفاجئني شخصيا فموقفه «الذي هو موقف صانعي القرار الأمريكي من وراء الستار» من ثورات الربيع العربي واضح. ولكن هناك نقطة مهمة جدًا وهي أن الشعب العربي أجبر أوباما على احترامه في بداية الربيع العربي عندما استخدم مصطلح «الثورة في الدول العربية» ولم يقل شرق أوسط وشمال أفريقيا كما يسموننا دائمًا ويسمينا معهم الحكام المفروضون علينا مع جولات

صحفييها ومطبليهم.

عنكبوت:

مع الأسف كاتب مصري يتحدث عن السلوك الإيراني في المنطقة وكأنه كاتب ياباني أو اسكندنافي ولا يعطي الجرائم التي ترتكبها إيران حقها و يعتبر الموضوع جزءًا من خلاف مذهبي وليس استخدامًا إيرانيًا للطائفية لخدمة مصالحها القومية. قبلكم كان سوريون ولبنانيون يكتبون عن سلوك إيران وكأنهم إسكندنافيون أو حتى يؤيدونها كسند لهم فانقلبت لما تمكنت وأخرجتهم إيران من بيوتهم وقتلت من لم يهرب. هل يجب أن تهاجم إيران مصر أو تقتل مصريين حتى تتحدثوا عنها من ضمائركم؟

سراقة القحطاني:

ما الذي يقصده الكاتب بقوله: (تحور)؟ أظن أنه قصد أن يقول تحول لأن التحور هو تغير وانتقال إلى صفة الحور فقط وليس تحولًا بصفة عامة، وأقصد هنا الحور كما في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة:٢٢، ٢٣] بينما سياق الحديث يدل على أن الكاتب يقصد تحول وليس تحور.

❑

الفصل الثامن
خيارات التجاهل والتصعيد والتحايل في السياسة الدولية
١

بدأت المعايير التقليدية التي حكمت السياسة الدولية بدأت مرحلة الأفول، ولم يعد لها أن تحاول البقاء عن طريق التطور أو التحور، وإنما أصبح واجبًا عليها أن تعترف بفشلها وأن تبحث لنفسها عن مخرج جديد يتيح لها أن تواصل العمل إذا أرادت الدول والمجتمعات المتمسكة بها أن تواصل الحفاظ على دور لها في المجتمع الدولي المعاصر.

عند هذه الجملة يمكن للقارئ أن يسأل مباشرة: وهل يُحتمل أن أحدًا من اللاعبين الدوليين يمكن له أن يتنازل عن دوره في الساحة المتقدمة من العمل السياسي الدولي؟

وهنا تظهر إجابة واضحة لم يتناولها أحد على الرغم من أنها لا تحتاج إلا إلى الاعتراف بالواقع وبالأمرين الواقع وغير الواقع.

وتتمثل هذه الإجابة في القول إن قوتين عظيمتين حقيقيتين آثرتا في السنوات الأخيرة أن تبتعدا تمامًا وكليةً عن معترك السياسة والنزاعات المحلية والدولية التي اندلعت في الفترة الأخيرة دون إعلان أنهما تترفعان على الحوادث والأحلاف والمواقف.

وليس من الصعب أن يدرك القارئ أن هاتين القوتين لم تخسرا شيئًا بسبب هذا الابتعاد المتعمد عن مواقف مربكة ومرتبكة إلى أقصى حد، وقد وجدتا أنه لم يكن لهما شأن في وصول الأمور إلى ما وصلت إليه، وليس لهما شأن أيضًا في الوصول إلى وضع جديد من صنعهما بالذات.

ومن ثم فإنهما -من أجل مصلحتيهما- آثرتا الابتعاد عن وضع بدا لهما بوضوح أنهما بعيدتان عن مدخلاته ومخرجاته، وهذا حق إلى حد بعيد جدًا، فلا اليابان ولا الصين دفعتا بأي أمر من الأمور إلى حالته الراهنة، ولا هما مستفيدتان من وضع معين من الأوضاع التي تسعى الولايات المتحدة وإيران والاتحاد الروسي وأوروبا الغربية بكل ما في وسعها إلى تجسيده على الأرض.

٢

هنا تبرز الفكرة القائلة إن الصراع الدولي الحالي قد استنفد كل أدواته، وهو قول صائب في جوهره حتى إذا لم يقبل كثيرون من صناع الساسة الكبار بدلالاته التي تعني ضمن ما تعني تقليص أدوارهم ومساحات حركاتهم وطبيعة سلطاتهم.

ومع أن هذا القول صائب فإنه ليس دقيقًا من حيث إن أدوات الفعل السياسي لا تزال وستظل تمثل ميدانًا قابلًا للتجدد مع الزمن، ذلك أن الهدف بطبعه خالق للأداة، وهكذا تتخلق أدوات إستراتيجية أو سياسية جديدة عندما تفقد الأدوات الحالية أو القديمة فعالياتها أو مضاءها أو عمرها الحي.

ومن الطريف في هذا الأمر ما يقال إن قائد المركبة هو المسؤول أو المكلف بتحقيق انتقالي أو انتقالك أو انتقالنا من مكان إلى مكان سواء في ذلك الطيار المدني أو قائد المركبة المزركشة التي يجرها الحصان الواحد أو عدد من الأحصنة على نحو ما هو متبع في البروتوكولات الاحتفالية البريطانية التي تمثل الصورة الباقية من مهابات العلاقات الدولية، فالطائرة و«مركبة الحوذي» تتفقان في النهاية أمام معايير التقييم التي يعهد إليها الاستراتيجيون بتقييم وقياس كفاءة فعالية «الأداة» في تحقيق الوظيفة أو «المهمة» المطلوبة.

٣

ويمتد مثل هذا التشبيه ليجمع بين الحرب والمفاوضات في صعيد واحد كأدوات لتحقيق الاستراتيجية، وليجمع بين حفلات الدبلوماسية وخطب التهديد في صعيد واحد أيضًا كأدوات لتحقيق الإقناع، وليجمع ثالثًا بين توظيف المال أو الأموال وتوظيف القوى الناعمة كأدوات لتحقيق الإيحاء المطلوب بقدرة الخصم على إخضاع خصمه.. وهكذا.

وفي كل هذه الأحوال فإن المجتمع الدولي المعاصر أصبح يلحظ بكل وضوح ميلًا حثيثًا إلى التخفف من الأقنعة الجميلة التي اعتاد اللجوء إليها في العقود الخمسة الأخيرة، وذلك في مقابل الانتصار لفكرة العودة إلى نوع من الصراحة الملطفة أو الأكاذيب المنمقة بديلًا عن القناعات المستهلكة، أو النظريات المكررة.

وقد بدا بوضوح في الأسابيع الماضية أن الولايات المتحدة تقود عن عمد - تقول عنه

إنه اضطرار- التوجه إلى هذه الصراحة المعبرة عن مشكلات نفسية جمعية لم تستطيع أن تتخلص منها على الرغم من قدرتها على هذا التخلص.

٤

تتعدد الأمثلة عديدة على تململ الضمير الأميركي من استعمال الأقنعة واللجوء إلى السفور.

- كان الموقف من بشار الأسد يوحي - عند مَنْ يتمنى- بأن الولايات المتحدة تنحاز للديمقراطية وحق الشعوب وحقوق الإنسان نفسها، لكن وبعد شهور من ارتداء هذا القناع فضلت تلك القوة العظيمة الميل إلى القول بخوفها من أن تؤدي إزاحة بشار إلى تقوية حركة الإخوان المسلمين، ومن ثم فإنها بدأت تبحث عن حل يستهدف في المقام الأول إيذاء الإخوان المسلمين وتوهينهم في تركيا ومصر قبل أن يصبحوا قادرين تمامًا على قطف ثمرة بشار أيضًا وهي خطوة لم تكن بعيدة.
- مرة أخرى كان الموقف الأميركي من استعمال بشار الأسد السلاح الكيميائي بمثابة ترجمة حقيقية لفكرة أن أوباما لا يريد خلق حالة مجد أميركي بقدر ما يخشى من أي اختلال مادي كبير في قواعد ووقائع اللعبة، وهكذا قبل أوباما في مواقف متتالية بإعطاء قدر متنامٍ من أمجاد متعددة للروس والإيرانيين والمعارضة البريطانية والدعاية الإسرائيلية وتراجع عن خطوة إيجابية وأخلاقية بل وبراجماتية أيضًا، من حيث كانت كفيلة مثلًا برفع قيمة الدولار في سوق الصرف بما يحل له كل مشكلاته الاقتصادية.
- مرة ثالثة كان الموقف الأميركي من نوري المالكي وجبروته مثالًا بارزًا على الانتهازية غير الأخلاقية وغير المبررة مرتين متتاليتين في شهر واحد، وقد أكدت المواقف الأميركية على هذا المعنى مرتين وليس مرة واحدة.
- ذهبت أميركا في دعم نوري المالكي وتكليف حلفائها -بقوة وإلحاح- بدعمه ماديًا ولوجستيًا ودعائيًا ومعنويًا إلى أبعد مدى ذهبت إليه في دعمها لأي حليف من الطغاة، وكان هذا الدعم -الذي مورس سرًا بأكثر مما مورس علنًا- بمثابة إجراء مستفز وضد كل المبادئ والأعراف.

- ثم وعلى حين فجأة تخلت الولايات المتحدة عن المالكي بأسوأ صورة يمكن لها أن تقدمها للعالم وللداخل الأميركي نفسه، ولم تراعِ أي شعور للطاغية الحليف ولا أي قدر من حفظ ماء الوجه، وقد فعلت هذا دون حتى أن ترفع قناع إرادة الشعب - الأميركي أو العراقي- أو إرادة الأغلبية هنا أو هناك، وإنما قدمت الأمر على أنه بمثابة إنهاء خدمة موظف أمن فاشل لا يستحق حتى خطاب شكر روتيني.
- مرة رابعة تكرر موقف الولايات المتحدة من المالكي في ما فعلته مع السياسي الإسرائيلي النزق بنيامين نتنياهو من دعم غير نهائي وصل إلى تزويده بأسلحة لم تستعمل من قبل من أجل أن يقهر شعبًا هو تقريبًا «أعزل» من السلاح، وتمادت الولايات المتحدة في الضغط على حلفائها، ثم إذا بالولايات المتحدة نفسها في ما أذيع بعضه وما لم يذع أغلبه بعد تتوسل إلى أصدقاء آخرين لإنهاء الوضع على أي صورة لأنها لم تعد قادرة على تحمل صيحات نتنياهو الهوجاء التي يتوجه بها إلى ناخبيه، ولا مقترفاته الرعناء في حق الأطفال بما مثل استفزازا للعالم كله حتى مَنْ تواطأ، ولا فشله المتكرر في تحقيق أي نصر يبرر الاستمرار في دعمه من أجل ما قيل من دعم الانقلاب في مصر وتأمين وجوده، مع أن الولايات المتحدة نفسها وليس غيرها هي التي دفعته إلى هذا الطريق رغم تحذير أقرانه الإسرائيليين المتكرر له من مغبة ما يفعل.
- مرة خامسة بدأت الولايات المتحدة تكرر الدور نفسه في التجريب الشاق والقاسي والمتمادي لسلاح التدخل العسكري المنافي للعسكرية والمنافي للإنسانية، والمنافي للقانون الدولي، مع ارتداء قفاز الإخفاء الذي يكفل لها البعد عن الاتهام، ومن سوء حظها أن إجراءاتها في هذا الصدد -وبالتحديد في سماء العراق- سرعان ما أثبتت فشلًا ذريعًا، خلفه فشل آخر هو تورطها الدامي في القضية المستورة التي أدت في النهاية إلى ذبح جندي أميركي بيد مواطن بريطاني بسكين عراقي أمام إعلام غربي، وقد سحرت الدراما التي شاركت أميركا نفسها في صناعتها أعين الأميركيين لكن السحر ترافق مع ضجر من أسلوب الساحر!

٥

بعد كل هذا بدأت الولايات المتحدة -من خلال حلفائها في مصر- في صناعة فوضى جديدة في ليبيا من خلال تدخل جوي وأرضي تنفيه مصر والإمارات وتؤكد الولايات المتحدة حدوثه، بينما التدخل يؤذي مصر والإمارات ويصب في مصلحة الولايات المتحدة.

ويمثل ذلك حالة من التلبيس والإلباس المكشوف كان المصريون يعرفونها في قدامى الملاك الزراعيين الذين يتظاهرون بالورع، بينما يسلطون اللصوص على صغار الفلاحين وثرواتهم الحيوانية ويتبرؤون من فعلهم، بينما هم يولمون الولائم بشراء الأنعام التي اغتصبها اللصوص من المزارعين الصغار وتقاضوا مقابلها شراء وتشجيعًا من كبار الملاك.

تعقيبات

الحسين ابن المغرب:

من خلال ما لمسته من دقة في التحليل للكاتب الفاضل يتبين لنا أن الأطراف المعنية أو ما يصطلح عليه الدول الرائدة قد فقدت السيطرة على الأوضاع وبالخصوص في المنطقة المشرقية التي لا تعرف معنى للاستسلام وكل عناوينها ننتصر أو نموت، وبما أن الغرب لم تكن في حسبانه مثل هذه الصدمة فلا يمكن وبأي حال أن يجد ثقب معين داخل المشهد العربي لصنع النهاية بشكل إيجابي لنا أو سلبي.

جمال النهاوندي:

يبدو أن كتابنا العرب بعد أن أتعبتهم خطابات انتصار الحماسيين لا يريدون أن يتحدثوا عن انتصارات الداعشيين، عن قتلهم للأكراد واليزيدين والمسيحيين ويحضرون لنا لوائح بأخطاء الولايات المتحدة وأخطاء الغرب وهي على قاعدة أن كل ما يفعله الغرب وكل ما لا يفعله الغرب هو فاقد للأخلاق والحقيقة أن أخلاق الغرب في هذه اللحظة لا تهمني بل يهمني السؤال عن أخلاق العرب الذين يتفرجون على القتل والعنصرية والحقد الداعشي ويتحدثون عن مواضيع أخرى.

الحائر:

حقيقة المعايير التقليدية للسياسة العالمية وخاصة العربية بالنسبة لنا، يتلخص في سلطنة رغبة القوى الكبرى، ومن يتعلق بذيلها من دول منطقتنا المالكة لثروات معدنية هامة أو لها مكانة استراتيجية سياسية، في الوثوب والقضاء النهائي على رغبة الضعيف الذى يرنو إلى طريق التحرر من سلطان الظلام. هذه القوى والموالين لها من نظمنا لاتزال مصممة على سيطرة كاملة والقضاء على كل قوى تريد

التحرر من قوانين الغابة التي تتبعها هذه القوى وذيولها. لذا لن نصل لشاطيء الأمان طالما لم تحل القوانين الخلقية والوضعية بديلًا للوحوشية.

with you:

إنهاء خدمة موظف الأمن الفاشل الذي لا يستحق حتى خطاب شكر روتيني إجراء يستحقه المالكي بامتياز.

أحمد جازي:

لقد بدأت أمريكا عهد أوباما بخطبة خداع إستراتيجي من القاهرة. كم بقي منها يا ترى؟ ربما عنى الرجل حديث السن معانيها وقتها لتنطلي الخدعة على الشعوب والأحزاب الساذجة. لا أنسى مقال م. تومان من دي تسايت ٢/ ٢٠١١ بظهور البلطجية (النظام يكشف عن وجهه الحقيقي) «مصر تتحول... لدولة مارقة... هذا مفاجئ، فأهلنا لم يحذرونا قط من مصر. فكيف يصبح معتدلون مارقين؟ الجواب: حكماؤنا كذبوا علينا». ظني أن الغرب كان يتوقع كشف حساب فاضح أمام شعوبهم فإذا الثورات تعفيهم مجانًا طلبًا لرضاهم! والآن هل ترى لبجاحتهم وشماتتهم مثيلًا؟

❑

الفصل التاسع
الرؤى الغائبة في صراع الثورات المتضادة

١

لم يعد بمقدور أحد أن ينكر أن المنطقة التي اصطلح الغرب على تسميتها بالشرق الأوسط أصبحت تستحوذ على أكبر قدر من اهتمام وتركيز صناع السياسة الدولية في الدول الأكثر نفوذًا في عالم اليوم.

وقد أضحت الدلائل على هذا أبلغ من أن تحتاج إلى برهان، وبوسع الذين يبنون استنتاجاتهم على تحليل «الحركيات» المؤثرة أن يكتشفوا أن أرض الشرق الأوسط ومشكلاتها قد استغرقت في العام الأخير وعلى مرأى ومسمع من مشاهدي التحركات – التي ترصدها الفضائيات بروتينية– أكثر من خمسين في المائة من وقت وفعاليات شخصية كشخصية وزير الخارجية الأميركية الذي يحتل منصبًا من المفترض أنه يمثل رمانة الميزان في السياسات الدولية.

٢

وكما هي العادة في التشخيصات العلمية لأثر التفاعلات الإنسانية والبشرية فإننا إذا أردنا أن نصل إلى لب القضية الحاكمة للمشكلات المتوازية والمتشابكة فمن الواجب أن ننحي الاستنتاجات –والنتائج– الأيديولوجية والمضمونية مؤقتًا دون إهمال لها أو تقليل من شأنها.

وفي مقابل هذا فإن علينا كباحثين عن الحقيقة أن ننطلق بمهارات الغواصين ومقتفي الأثر والمساحين إلى البحث عن عامل عقدي –أو مرتبط بالعقائد الدينية أو بغيرها من العقائد البالغة في تأثيرها حد الدين– قد يمثل سببًا في تأجيج الدوافع في اتجاه أو آخر، ومن الطريف أن العوامل العقدية في نزاعات الشرق الأوسط أبرز من أن تحتاج إلى بحث أو تشخيص، كما أنها أيضًا أبرز من أن تخضع لتجاهل أو تقليل.

وعلى صعيد آخر فإننا نجد أنفسنا مطالبين بأن نبحث بجدية واقعية ومادية مفرطة في الآثار المتجسدة للوجدانيات الحاكمة لحركة الشعوب والأسر الحاكمة والطبقات المتنفذة،

ومن حسن الحظ أن كل هذه الزوايا أصبحت مضاءة جيدًا بفضل الفن والأدب والتاريخ من بعدهما.

ومن باب إنقاذ الوقت أو توفيره بالولوج مباشرة إلى تحليل الموضوعات الحالة والمتقلبة بمعطياتها فإننا نقترح أو نفضل أن نطرح هنا عددًا من الحقائق الجوهرية المغيبة في دراسة الإشكاليات الحاكمة لمستقبل النزاعات الإقليمية في الشرق الأوسط مع الاعتراف المسبق بأن تغييب هذه الحقائق كان أمرًا منطقيًا ومتسقًا -ومن ثم مفهومًا- مع روح فهم السياسات، ومع روح بناء الدراسات كذلك؛ ولهذا السبب نفسه تبدو أهمية وخطورة الطرح الذي نقدمه على الرغم مما قد يبدو من لا منطقيته أو من لا معقوليته.

٣

أولى هذه الحقائق هو أن تقدم العقل الغربي بما يوازيه من الذكاء الصناعي قد حسم توجهات القضية الدينية تماما بما جعلها تسير في اتجاه مكونات العقيدة الإسلامية -سواء كان هذا بسبب في جوهر العقيدة نفسها، أو في تطور الحياة الإنسانية أو فيما هو أعمق من هذا وذاك- وهو ما أدى بالتبعية إلى نفاد رصيد فكرة التعويل على الدوافع التاريخية العميقة التأثير فيما يعرف أو يوصف بأنه تجدد لدورات الصراع الصليبي الإسلامي.

وقد تكرس هذا الموقف «السلبي» الجديد رغم الجاذبية البالغة لدوافع تجديد الصراع المسيحي الإسلامي ورغم اللمعان غير المنكور في تجاربها الناجحة، ورغم انحيازاتها المفهومة لتبرير قيم قد تكون مستهجنة ظاهريًا ومتقبلة في العمق كالعنصرية، بل رغم بقاء تأثيرات لها إلى اليوم.

وقد عرف عني تكرار القول بأن تعميق الانتماء للمسيحية الشرقية يؤدي أوتوماتكيًا إلى نصرة الإسلام، كما أن التعويل على نشر المسيحية البروتستانتية والتبشير بها في المجتمعات العربية كان يقوي تلقائيًا من الدعوة إلى الإسلام والإيمان به والعمل لأجله، وهكذا فإن دينامية السلوك السياسي تسير بالمجتمعات الغربية المعادية للإسلام سيرًا حثيثًا في اتجاه هادئ يتكئ على أساس ديني متجرد لا متعصب، ويقود إلى الإيمان بقيم الإسلام والدفاع عنها وربما إلى اعتناقه.

٤

ثانية هذه الحقائق الجوهرية ترتبط بالفهم الجديد لمعنى الثروة في السياسة والثورة وتفاعلاتها؛ وهي الحقيقة القائلة بأن المال غير الموظف في الخدمة العامة يصبح بمثابة العبء على الاقتصاد والسياسة على حد سواء، بل إن هذا المال يصبح مصدرًا من مصادر ضعف الدولة الحائزة له أو الحريصة على تنميته بالاستثمار، وليس من قبيل المبالغة ولا التوحش أن أقول من واقع التأمل في أحداث التاريخ إن إفناء الأموال في الحروب المعلمة للشعوب أفضل بكثير من ادخاره في صناديق سيادية؛ لكن الأفضل من هذين البديلين هو الإنفاق على الخدمات العامة بمفهوميها الواسع والإنساني.

وهنا أؤكد على حقيقة لا أكف عن التغني بها في كل حين وهي أن المرافق العامة – وليست العقارات ولا الأصول الثابتة الأخرى– تمثل أفضل وأذكى وسائط الاستثمار القومي والجماعي إذا ما تعلق الأمر بالسياسة والمستقبل أو بالتنمية والواقع أو بالحرب والسلام، وهو ما أثبتته تجارب الدول التي خاضت الحرب العالمية الثانية بتطوراتها واستنزافاتها ثم بتداعياتها وتوابعها.

٥

ثالثة هذه الحقائق الحاكمة للصراع الحيوي الراهن هي أن الإعلام الموجه المرتبط بمراحل التحول مهما تكثف لا يستطيع استحداث عقول بناءة، وغاية ما يمكن له أن ينجح فيه هو التلاعب بمجموعة كبيرة أو صغيرة من العقول الراغبة في هذا التلاعب أو المرحبة به، وفضلًا عن هذا فإن هذا النجاح التقليدي المضمون أصبح ضعيف القيمة إلى حد التلاشي إذا ما قدر له أن ينازل –ولا نقول يواجه– وسائل الاتصال الاجتماعي بإمكاناتها غير المتناهية وبجذورها المتعددة بتعدد خلق الله.

وعلى الرغم من أن أنهار التمويل قد صبت صبًا في محاولة خلق وجود رسمي أو سلطوي فاعل في وسائل التواصل الاجتماعي فإن هذا الوجود في حد ذاته تحول وتوجه بطريقة تلقائية في مصلحة روح الثورة لا الثورات المضادة.

ومن الطريف أن مسئولي التوجيه الرسمي لم يدخروا جهدًا فيما يفيضون به في شرح توجهاتهم ونجاحاتها بكل ما يمكن لهم وما هو متاح بالفعل من توظيف للفن والمال

والمؤسسات الإعلامية المملوكة لهم؛ حتى إذا ظنوا أنهم حققوا درجات النجاح الإعلامي الأقصى إذا بكلمة واحدة أو لقطة واحدة تبتلع كل أثر ممكن لهذه الجهود على نحو شبيه تمامًا بما فعلت عصا موسى من قبل.

٦

رابعة هذه الحقائق أن عقيدة الدولة أو المجتمع (أو الوطن والشعب) «شيء» راسخ يرتبط بالجموع وبالمجموع وبالشرعية والمشروعية كما يرتبط بالتاريخ والوجدان، وهذا «الشيء» لا يتغير بتصريح متكرر أو عابر من شخص مترهب تترتب له القرعة التي تضعه على كرسي في كنيسة، أو كاتب أو باحث يوضع أو يتموضع على كرسي الشيخ أو المدير أو الوزير، أو من إذاعية تتصايح في فضائية أو أرضية، أو فنانة متوسطة القيمة تتقمص دور الملقنة أو المحاورة.

وقد أثبتت الحوادث المتفرقة مدى العبثية في التعويل على أي أثر مرتجى من هذه الوسائل القديمة.

وفي مقابل هذا فإن الإنسانية الحالية المعاصرة بحكم الزمن لتطورات الاتصال المعرفي والقيمي الجديد أدركت بوضوح أن **محاولات العبث بالعقيدة القوية لا تقود إلا إلى تعزيزها وتثبيتها، وتنبيه أهلها للذود عنها**، بل إن الناتج أو الأثر السوسيولوجي لمثل هذه المحاولات النزقة يميل تلقائيًا في مصلحة خلق تيارات التطرف التي هي في حقيقتها النفسية أو السيكولوجية لا تعدو أن تكون تمسكًا بالأصالة في مواجهة العمالة!

٧

ولا يستغربن القارئ من استخدامي لهذا اللفظ أو المصطلح في الموضع الذي كان القراء يتوقعون أن يأتي لفظ المعاصرة، ذلك أن مفهوم العمالة في هذا المقام هو اللفظ الدقيق لوصف شعور جماهير المخاطبين بدعوات «التعابث» بالعقائد، ومن ثم فإن هذا اللفظ وبلا مواربة سوف يمثل المصطلح الوحيد والدقيق الذي يصف توجهات المتلاعبين بالعقيدة أو العابثين بها عند المنتمين لحضارات الشرق الأوسط بدياناتها الثلاث ولغاتها الخمس وسوف يكون هذا اللفظ أقرب من ألفاظ أخرى كالحداثيين والتنويريين.. الخ.

ومالم يدرك اللاعبون على مسرح المشرق العربي الحدود الدرامية لهذا المسرح فسوف يظل فعلهم المسرحي قاصرًا عن أن ينشئ وضعًا جديدًا، أو عن أن يشي بفكر قادر على الاتصال بمستقبل يدهم قبل أن يدعم، ويستشكل ويشكل قبل أن يشّكل أو يتشكل.

تعقيبات

sami:

أولى الحقائق التي أوردتها د. الجوادي حقيقة الحقائق في هذه المنطقة المبتلاة بالأمريكان ، فعندما يعمل الغرب يتبعهم سياسيونا كالغفل والإمعات، لا يجد أبناء هذا الوطن الكبير إلا الإسلام ، والدليل أن كيري يأتي ويذهب الوطن العربي يضرب في كل مكان في سوريا واليمن وليبيا والعراق والعربان (سياسيين وصحفيين) يرددون كالإمعات قال كيري ونطق كيري وهم يعرفون جيدًا صهيونية أمريكا وأرثوذكسية روسيا بوتين المجرمة، وعدوانية دين خميني الجديد ، فإن الناس لا يجدون إلا الإسلام من يحمي البلدان.

hossam maroc:

..... فالإنفجار الثوري العربي لم يأت من رحم العبث أو التسلية بل جاء كخيار الأخير، وإذا قلنا هكذا فهذا يعني أنه أتى بفكرة صلبة لا تميل هنا أو هناك، وكيفما كان حجم المحاولات والأفكار المضادة للفكرة الرئيسية في الثورة فلن تكون قادرة كلها على الدحر ولا حتى احتواء طموح الشعوب في حقها بالكرامة، وما يتم تسخيره الآن من أبواق وأموال ومواقع لكسر مشروع أمة في العودة إلى هويتها سيكون في الأخير مجرد حسرة وندم على استنزاف الطاقات في مستنقع السراب.

Ahmed Ziani:

أضف إلى هذا ... : وما لاحظنا أن القوى المضادة بشقيها الغربي وتوابعها العربية ابتكرت وطورت ما يسمى بالفوضى الخلاقة واستثمرت آمالًا ضخمة لتعطيل مسيرة التحولات والتغيرات الاجتماعية والسياسية والإسلامية داخل مجتمعاتنا ونشرت وعيًا زائفًا عن طريق سحرة فرعون من الإعلاميين والمفكرين والشيوخ والمعارضين السياسيين المأجورين محاولة منها كسر عصى موسى أي وقف الحتمية التاريخية لعودة الحقائق الإيمانية والمبادئ الوجودية للإسلام. كما عودتنا أستاذنا الجوادي، تحليل عميق فاهم، وشكرا.

نور:

يبدو أن ذهن الكاتب مزدحم بأفكار يصعب على القارئ التواصل معها وكأنه وضع ليترًا من حليب في خلاطة تحول إلى رغوة وقال هذا لبن. مقالة أفكارها مدمجة وضيقة ومتعددة (كالأديان واستعمال المال والنفقة على الخدمات العامة والتنمية والتواصل الاجتماعي والعبث بالعقيدة والتطرف والمسرح الدرامي..الخ) وتذكرني بشاعر غربي عندما سألوه عن صعوبة فهم أشعاره، فأجاب أحيانًا أكتب أشعارًا

لايفهمها إلا أنا.

العمورى محمد:

فكل ما تكتبه يتلخص أننا تحت حكم الاستعمار بأنظمة وجيوش مُنصَّبة لذلك الغرض ألا تتحرر شعوبنا منه منذ نشأتها لليوم وجاءت الثورة لتدحره وهنا السؤال المهم:

مش فاهم وتصفيط كلام؟

أول تقول أنه تعميق الانتماء للمسيحية الشرقية يقوي الإسلام ونشر البروتستانتية في المجتمعات الغربية يقوي الدعوة للإسلام!!!! لن أدعي عبقرية ولكن هذا تصفيط حكي مع احترامي لا معنى له لماذا؟؟؟ أولًا كيف تعميق الانتماء المسيحي سيقوي الإسلام وفرضا اتفقنا أن هذا صحيح على أساس أنه ديانات سماوية مع أن الأديان هنالك صراع أيديولوجي بينها لكن السؤال كيف اتجاهان متضادان يقودان لنفس النتيجة ؟؟!! كيف الكنيسة الشرقية الأرثذوكسية أو حتى الكاثوليكية التي أصلًا في صراع مع البروتستانتية سيقودان لنفس النتيجة؟!!!

❑

الباب الرابع
الشماعة الإسلامية

الفصل العاشر
لماذا يعلق الغرب إحباطاته في رقبة المسلمين ؟

١

إذا قُدِّر لقارئ التاريخ بعد ربع قرن من الآن أن ينظر بتأمل إلى أحداث الشهرين الأخيرين، فإنه سوف يندهش مما حدث من تواكب مجموعة قرارات دولية وغربية لا يمكن وصفها إلا بأنها تحريضية، ومستجلبة لعداء التاريخ الإسلامي وحاضر هذا التاريخ.

وقد اقترنت هذه القرارات زمنيًا ببعضها البعض بطريقة يصعب معها تقبل فكرة أن تُعزى إلى المصادفة، بينما ينمو ويزدهر القبول بفكرة التخطيط المسبق لإصدارها متتابعة بنية المصادقة لا بطريق المصادفة.

وقد أتى في مقدمة هذه القرارات ذلك القرار الذي بدا مفاجئًا حين وافق البوندستاج (البرلمان الألماني) على اعتبار ما حدث للأرمن مذبحة؛ وهو ما استدعى إلى الأذهان ما تم قبله بقليل في قرار الكونجرس (البرلمان الأميركي) من البدء في تشريع قانون يتكفل بالسماح للمواطنين الأميركيين بمقاضاة السعودية عن أحداث ١١ سبتمبر.

٢

وقد كان هذان القراران بمثابة قمة جبل الجليد لمجموعة سابقة وأخرى لاحقة من القوانين التي تصدر عن تضخيمات (ولا نقول مبالغات) ملحوظة فيما قد يوصف بأنه تناقض متباين في فهم فكرة المسؤولية.

فحين تطوع الغرب بوضع بروتوكولات محاربة ما أسماه بالإرهاب، والتزمت معظم الحكومات العربية بالتطبيق الجيد (وأحيانًا المتفاني) لهذه البروتوكولات؛ عاد الغرب نفسه ليلقي بالمسؤولية عن المخاطر على عاتق الدولة (أو الدول) الملتزمة بهذه البروتوكولات، أو التي هي -بمصطلحات السوق الاقتصادي- «دولة مؤمنة لديه» أوفت بالتزاماتها التعاقدية في مشروطية التأمين أو عقوده.

ويعني ذلك ببساطة شديدة أن «شركة» التأمين أو مؤسسته لم تقف عند حد الإخلال بواجباتها التعاقدية فحسب، ولكنها بدأت تطالب بما لا حق لها فيه مما يقع الحق فيه على شركة التأمين نفسها (وهو الغرب نفسه) بحكم مشروطية التأمين وتعاقداته.

والنتيجة الطبيعية بل التلقائية لمثل هذه الممارسات الصانعة لهذه السياسة (التأمينية)، أنها سرعان ما تحقق انخفاضًا ملحوظًا في الثقة بمؤسسة التأمين أيًّا كانت طبيعتها التمويلية والهيكلية، بما في ذلك أن تكون دولة أو تجمعًا اقتصاديًا.

٣

وبعيدًا عن التمنيات غير المرغوبة وعن التشبيهات غير الكاملة وعن المقارنات غير المستوفية لأركانها، فإن أحجار التشكك المؤدية للتفكك في كل الإمبراطوريات الحديثة كانت قد بدأت على نحو شبيه بما يحدثه الأميركيون في علاقاتهم العربية الآن، أو بعبارة صريحة: في نهاية عهد الرئيس بارك أوباما.

فقد كانت اتفاقية بريتون وودز للنقد ١٩٤٤م (إضافة إلى ما كان لها من جوهريتها في الاقتصاد وسوق النقد والعمل المصرفي)، بمثابة بداية التحول عن المكانة المرموقة للجنية الإسترليني المعبرة عن مكانة الإمبراطورية البريطانية، حتى إن بريطانيا نفسها أفقدت عملتها ٣٠٪ من قيمتها في ١٩٤٩م.

٤

لكن الحقيقة الأكثر أهمية التي يدركها المؤرخون المتمرسون، كانت أن إمبراطوريات أوروبا كلها أجبرت منذ ذلك الحين على ترك الصدارة للولايات المتحدة الأميركية، وهو سرعان ما تأكد في العام التالي ١٩٤٥م عند إنشاء هيئة الأمم المتحدة.

وارتبط بهذا ما نود أن نشير إليه إشارة خاطفة هنا، من شيوع مصطلح «الخروج من منطقة الإسترليني»، وهو مصطلح غني عن الشرح بصياغته الموحية في حد ذاتها.

وفي هذا الصدد أيضًا، كانت تدافعات التناقضات الإصلاحية المفاجئة في النظام السوفياتي -الذي طال جموده وركوده- مقدمة لتفكك عالم الاتحاد السوفياتي من ناحية، والعالم المرتبط بحلف وارسو من ناحية ثانية أعقبت الأولى بسرعة بالغة.

٥

وفيما قبل هذا، كان انهيار دولة الخلافة الإسلامية في مطلع العشرينيات تاليًا لما عرف بأنه الانقلاب العثماني المنصبغ بانحياز قومي غير مبرر، والمترافق أيضًا مع ما صُور على أنه ثورة عربية غير مكتملة أظهرت وأخفت وراءها في الوقت نفسه أصابع استعمارية قديمة/ متجددة في مصالح اقتصادية بازغة.

وقل مثل هذا في تداعيات الحلول السياسية التلفيقية لقضية الجزائر وما قادت إليه من التراجع النهائي في النفوذ الفرنسي فيما وراء البحار.

في كل هذه الحالات يبدي المركز كثيرًا من التعبير بوضوح عما يدل أو عما يوحي بأنه ناء أو بدأ ينوء بمسؤوليته عن الأطراف المرتبطة به، مرحبًا (قسرًا أو رضاء) بالمصير التاريخي الذي يعيد تشكيل وترتيب وحسابات عناصر المعادلات بما يريح مَنْ في المركز، أو يوفر له طاقته!!

وقد تبدت لهذا التفسير ملامح زاعقة وشديدة الوضوح في الخطاب السياسي للمرشح الأميركي الجمهوري دونالد ترامب، وهي ظلال قوية لم تأت من فراغ بل إنها تعبر عن نفسها أيضًا بتلطف واضح في الخطاب السياسي للمرشحة الديمقراطية هيلاري كلينتون التي عركت هذه المشكلات وهي وزيرة للخارجية، وكان عراكها دائبًا وهادئًا دون صياح أو صراخ.

٦

وفي هذا السياق فقد آثر الأميركيون إعادة إنتاج فكرتهم في تقييم وتعويم الحاجة إلى التخفف من الأعباء، باللجوء مباشرة إلى الحد الأقصى من توريط «الآخرين» بإثبات مسؤولية هؤلاء «الآخرين» عن ماضٍ منقطع الصلة بالحاضر، لكنه يصلح على كل حال (وفي كل حال) للمماحكة المستنفدة للوقت والمستنزفة للأموال والمستفزة للأعصاب، والجالبة -بالتالي- لتمويل ما (أي تمويل) سواء من باب التعويض أو التغريم أو الترضية أو التوفيق أو التوافق أو الاتفاق؛ مع الاختلاف الكبير بين هذه المعاني جميعًا.

ومن حسن حظ الأميركيين أن مجموعة مواصفات «الآخرين» تحققت بنموذجية

تاريخية في مجموعات بعينها من المسلمين المعاصرين المتمتعين بالملاءة النقدية المعقولة والمقيدة.

وقد حدث هذا التحقق بصورة غير مسبوقة على هذا النحو في مثل هذه التفاعلات الدولية، وهي صورة ربما تصبح أيضًا غير ملحوقة ولا قابلة للتكرار في ظل ما تخطط له السياسات التي بدأت تعبر عن هدفها بما يشبه الصراحة في معاداة جماعات أهل السنة من المسلمين بدأب وتنوع وتعاقب وتكرار، بما قد يصل (في حالة ضعف الوعي) بهذه المعاداة الجزئية لفكرة ما إلى درجة الاستئصال والإبادة لجماعات وشعوب؛ وهو معنى لم يكن من الوارد ولا المتوقع أن يصرّح به أحد.

لكنه وجد بدايته الخطرة على يد الرئيس الأميركي أوباما، وازدهر بسرعة البرق بسبب إلحاحه المفاجئ على الهروب من الاعتذار عن مواقفه في سوريا إلى نقد المحتوى الفكري للإسلام في دول بعينها بطريقة قاسية، منتزعًا ومقتبسًا تعبيرات عابرة في دراسات متطرفة ليضعها في قلب مناقشات سياسية تدافع بالباطل عن فكرة الانقلابات على الديمقراطية وحقوق الإنسان.

٧

ومن المثير للعجب أن أوباما أنجز أطروحاته هذه باللجوء إلى نقد العقيدة والتربية معًا، مع خلط واضح في الإسناد جعله مضطرًا إلى أن يبرر ظلم المجموعة الذي يشارك هو في تبنيه بما أحسه من انتهاجها سلوك المجموعة التي تشاركه الظلم؛ وقد جاء انحياز أوباما المفاجئ لإيران على حساب ثوابت العلاقات الخليجية الأميركية بصورة تدعو للتشكك في مدى حفاظه على تراث أميركي ناجح كان مضرب المثل في العلاقات الدولية.

بيد أن مكمن الخطورة يتمثل في أن الصيغة المستحدثة للولاءات الأميركية في العلاقات الخليجية باتت في حاجة ماسة إلى كثير من ضبط الإيقاع والإخراج، ومع هذا فإن الجهد الأميركي في هذا الصدد أصبح يتناقص تدريجيًا وعمدًا حتى يكتفي بالتصريح، كما أنه من ناحية أخرى أصبح يتناقض سريعًا وبالتنامي حتى يظهر تناقضه واضحًا مع كل تصريح جديد.

٨

وقد ارتبط هذا التوجه الجديد أو المفاجئ بظلال من تفكير إنساني قاصر في قدرته على بناء علاقات تحالف سليمة (وربما أنه مقصر)، وتمثلت هذه الظلال مثلًا في قول كقول ترامب الفج إن أميركا تحمي الخليج مجانًا، بينما العالم كله يعرف الحقيقة وهي أن الاقتصاديات المرتبطة بما يمكن تسميته حماية، تمثل أفضل الاستثمارات المتاحة أمام الاقتصاد الأميركي على مدى القرن الماضي كله.

تمثلت هذه الظلال أيضا في القول بمسؤولية حركات إسلامية إصلاحية عن ممارسات إرهابية، بينما حاربت هذه الحركات بدمها وعرقها هذه الممارسات **متكفلة** بما لم تتكفل به أميركا ولا الغرب، **ومتكلفة** بما لم تتكلف به أميركا ولا الغرب.

وتمثلت هذه الظلال ثالثًا في الادعاء بنجاح أميركا في مهمتها الحمائية المزعومة، بينما الحقيقة تثبت لأميركا (قبل غيرها) المسؤولية عن عوامل التقويض والتدمير الذاتي والتحريض والتحرض؛ وهي مسؤولية تفوق في عواقبها وتبعاتها كل ما هو ممكن من الحمائية الأميركية المزعومة.

وفي هذا الصدد فقد بدأ دارسوا العلاقات الاجتماعية يدركون حقيقة مهمة، وهي أن استقواء الحركات الحديثة بالنصوص الدينية كان في المقام الأول والأخير منتجًا أميركيًا بحتًا، لم يسبق المسلمون الراديكاليون (المتهمون به) أنفسهم إليه. ولم يسجل البريطانيون ولا الفرنسيون أي منجز في سبيله.

وقد كان هذا التصرف الاستعماري القديم طبيعيًا إلى أن جاءت مفاهيم الحراك الأميركي المفرط في توظيف القوة (المحدودة وغير المحدودة على حد سواء) إلى العمل خارج حدود العقل البشري.

تعقيبات

محمد:

المقالة تعالج قضيه عدم التعامل بالمثل في علاقات العالم الاسلامي مع الغرب، وهو يأتي من فشل الغرب في التعامل مع المسلمين والسبب يأتي من عدم أخذ العرب بجديه ككوريا مثلًا، وبالتالي يحمل الغرب فشله الأمني للعالم الاسلامي، وتبدأ الحملات الإعلامية ضد الإسلام والدول العربية والجالية

المسلمة، لقد فشلوا أمنيًا، وفشلوا في إعطاء حقوق المواطنة الكاملة للأقلية المسلمة وحمايتها وحملوها للإسلام. بالرغم من تفاني هذه الدول في حربها على الإرهاب، لا زالت تلام على فشلهم الأمني والعنصري.

متابع@ :

لقد اختار الله العرب الأمة الأمية التي تعيش في صحراء قاحلة مكشوفة في وسط الامبراطوريات القوية و الغنية. فنحن لا نستطيع أن نعيش بدون أن نتعامل مع الآخرين و يتعاملون معنا بالتجارة أو غيرها. و حتى عندما تتحارب هذه الامبراطوريات فيما بينها فهي ستمر في أراضينا. ولأن أرضنا معظمها صحاري لا تنتج خيرات وافرة يمكن التجارة بها، فالشيء الوحيد الذي يمكن أن نصدره للعالم هو الخير و المبادئ و الرحمة للعالمين ورفع الظلم عن الضعيف. فإذا حاولنا غير ذلك فنحن الأقل عددًا والأضعف وبدون ديننا الأسوأ والأذل.

نور:

أجاب الكاتب بدقة على عنوان المقالة. والحق يقال إن أميركا خاصة احتاجت دائمًا إلى عدو لتتسلط عليه. وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي لم يكن بحوزتهم إلا التوسع بالنيل من الإسلام والمسلمين. حتى في عهد الرئيس جونسون، أفادت موظفة في مكتبه أنها كانت تستعجب من كثرة التقارير التي تذكر الإسلام والمسلمين إلى حد أنها اعتقدت أن الطابعات كانت مبرمجة لهذا الغرض.

حمو المغاربي:

المصلحة هي الصديق الوحيد في السياسة. وعندما تنقلب الموازين في العمل السياسي الراشد نوهم «الآخر» أن إزدهاره رهين بالحرية السياسية بينما الموهوم المسكين هذا غافل عن حقيقة قيام الحرية السياسية بالكرامة والسيادة، ولو كانتا نسبيتين، مع مقومات اقتصادية مانعة وعلاقات سياسية دبلوماسية عاقلة تقوم بتغذية مستمرة للسيادة والاستقلال نحو مزيد من الكرامة، والعالم الثالث بما في ذلك الإسلامي يصر على قلب تلك المعادلة؛ النتيجة: صراعات حول ثانويات حكم وصراع أيديولوجي وفتن طائفية وتبعية وشبه ثورات وتفكك اجتماعي.

جمال:

قال تعالى :﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠] . ضف إلى ذلك أن ما يفعله الغرب ضد المسلمين هو بتواطؤ مباشر من المسلمين أنفسهم. هل تعرف أيها الكاتب هجومًا غربيًا واحدًا على بلد مسلم دون تواطؤ بلد مسلم آخر ! بل هل تعرف أن الغرب لا يفعل أي شيء ضد المسلمين سوى استغلال تواطؤ بعضهم ضد بعض!

العموري محمد:

فالغرب لم يقل أبدًا ما تشير له بعنوانك ولا يلمح به فصنع الإرهاب بتنظيم القاعدة بتنظيم داعش

وبأموال بترول المسلمين التي تودع ببنوكه ليصنع عدو حاله: أي استعمار ونفوذ . فلتحزن شعوبنا العربية لذلك ولمستقبلنا أيضًا وذلك راجع لأي شعب يهمل ويترك حكمه لعملاء نصبهم الاستعمار الفرنسي الإنجليزي وأطلق عليهم اسم ولاة الأمر وعدم الخروج عنهم وإنما عدم الخروج عن الاستعمار الذى دمر ونهب وهجر بلدان وشعوبنا العربية ولهذا جاءت الثورة، والحمد لله.

أحمد المغربي:

الجواب على سؤالك أستاذ الجوادي: بما أن الأمة الإسلامية هي خير أمة أخرجت للناس منذ١٥ قرنًا، كان عليها أن تكون النموذج والمثال الذي يقتدي به العالم وإعطاء المعنى والهدف للوجود الإنساني و هداية البشرية إلى ما فيه سعادتها، إلا أننا للأسف تركنا القيادة و توجهنا شرقًا وغربًا حتى ضللنا الطريق. لذلك كل ما يحدث في العالم نحن مسؤولون عنه بطريقة أو أخرى.

Hafid Alhosayn:

الغرب يرمي كل مساوئه على المسلمين ، لأن أكثر المسلمين تخلوا عن دينهم واتبعوا الشهوات ، فهانوا على أعدائهم الذين ما زالوا يحاولون ليس فقط إخراجهم من دينهم الإسلامي بل بتكريههم لكل ما يمت للإسلام بصلة. قل لي ، لماذا وعلى ماذا يتقاتل رؤساء وملوك العرب ويستنصرون على بعضهم بالصليبيين؟ ولم يستبعدوا استنصارهم حتى باليهود. أصبح الفساد وكل أعداء الله أفضل عند زعماء العرب من المسلمين الذين يقاتلون لإقامة دولة الاسلام. إن لم يكن هؤلاء الشباب مؤهلين ، فما الذي يمنع حكامنا من إقامتها...؟؟؟. إنه حب الشهوات.

العيب فينا:

إذا رأينا كثيرًا من المسلمين يعلقون إحباطاتهم على أنفسهم فلم نلوم الغرب (فالعيب فينا) حتى نعيد الثقة في أنفسنا ونحن نحمل أعظم القيم والديانات.

عربي مسلم حزين:

هل كانت الامبراطورية العثمانية خلافة إسلامية؟ وهل استلم الخلافة أحد غير أبناء عثمان؟ وماذا قدمت للإسلام سوى محاولة تتريك العرب وإلغاء لغتهم لغة القران؟ وهل هذا هو الإسلام؟ ثم لماذا لا نعترف بالحقيقة؟ ألم يقتل الجيش التركي أكثر من مليون أرمني جلهم من النساء والأطفال والشيوخ؟ لنعد إلى نظرة العالم إلينا: ماذا نتوقع ونحن نفتك ببعضنا ونقطع رؤوس الصغار والكبار مبررين ذلك كيف نشاء، ونسبي النساء ونبيعهن رقيقًا أمام سمع العالم وبصره؟(...).

إبراهيم:

مقال معقد !!!

❑

الفصل الحادي عشر
ماذا تنتظر المجتمعات الإسلامية من الغرب المستنير ؟

١

هل يمكن أن نتفق على رؤية شبه موحدة لما تتطلبه المجتمعات الإسلامية من الغرب المستنير؟

ليس من المحال أن يكون هذا السؤال واردًا بإلحاح عن قريب إذا افترضنا أن المجتمع السياسي الغربي طلب -على سبيل الإعداد لسيناريوهات إيجابية بديلة- من مجموعة من المفكرين المسلمين أن يذكروا له على سبيل المثال أو الحصر مجموعة من الإجراءات العاجلة (و/ أو) السياسات متوسطة المدى (و/ أو) الإستراتيجيات طويلة الأجل التي ينبغي أن يبادر الغرب بالشروع فيها وتفعيلها لينهي الرغبة في استمرار دوامة الحزازات القديمة.

هذه الحزازات عادت فجأة إلى التأجج والإلحاح في السنوات الماضية؛ ثم زاد تأججها بفعل تصرفات انقلابية كشفت في مصر -على سبيل المثال- عن العداء للإسلام تحديدًا؛ واستفزاز المسلمين لدرجة منع الصلاة في بعض المساجد ثم منع الدعاء والاعتكاف في أغلبها! هذا فضلًا عن إيقاف المؤسسات وإغلاق الجمعيات ومنع الخيرات وتجميد الأوقاف.. الخ.

وقد تُرجم الهدوء الغربي في التعامل مع هذه التصرفات الخرقاء على أنه تواطؤ، فلما تكرر التواطؤ مرات انسحبت تهمة عداء الإسلام بنعومة ورشاقة لتظلل كل تصرفات السياسة الغربية التي وَجدت نفسها بسبب تخبطات أميركية متكررة تواجه واقعًا جديدًا لا بد أن تعالجه بمبادرات فكرية ذكية.

٢

وعلى الرغم من أن المراقبين لا يتوقعون لجوءًا إلى هذه المبادرات فإنني لأسباب كثيرة أرى الغرب يتجه للتوازن بل ربما يتجه إلى اعتدال إيجابي يمكن معه أن يطرح السؤال

الذي تحدثت عنه في الفقرة السابقة.

ومبلغ علمي أن هذا الطرح ممكن، حتى وإن كان مبلغ الخبرة العمومية يدفع إلى القول بأن هذا غير ممكن، ولهذا فإني أفضل أن أبدأ من التعبير عن الخبرة ملخصًا بطريقة غير مباشرة نتائج تجارب نجحت في تجسير الفجوات كما نجحت في تكسير الحواجز النفسية.

٢

وربما أبدأ بالإشارة إلى ضرورة انتباه السلطات الغربية مبكرًا وبذكاء المتابع اليقظ إلى ضرورة مراعاة تعدد الدرجات المتفاوتة التي تعبر عن التصاق المسلمين بما يعتقدونه عن الإسلام وما يفرضه عليهم انتماؤهم له؛ ذلك أن التفاوت في هذه العلاقة يشمل طيفًا واسعًا من العلاقات الروحية والخلقية والاجتماعية دون تلازم دائم أو طردي أو تبادلي بين هذه العناصر.

ومن دون الولوج في تفصيلات كثيرة تنوء بها الموسوعات فإنني أضرب المثل بحاكم مسلم لم يكن هو نفسه نموذج الاستنارة ولا نموذج التعبد، ومع هذا فإن حميته لدينه وللمنتمين إليه فاقت حمية أقرب الأقربين منه الذين كان منهم أيضًا نموذج الاستنارة الأول، ونموذج الانحياز الفكري الأول، ونموذج العمران الدنيوي الأول.. الخ، ولم يشغل أحد من مؤرخي المسلمين ولا فلاسفتهم نفسه بالبحث عن علاقات غائبة أو حاضرة في مثل هذا «التفارق» أو الافتراق على المستوي الحركي والتنظيري والعلائقي بالآخر أو الآخرين.

لكن ذلك النموذج بقي وتكرر ولا يزال قابلًا للتكرار والتعزيز. وقل مثل هذا في زعيم إسلامي يعرفه التاريخ جيدًا كان يعنى بالفن الإسلامي والعمارة الإسلامية والوفاء الإنساني عناية فائقة، بينما هو مختلف تمامًا مع العلم الإسلامي الفقهي والفلسفي.

٣

واتساقًا مع ما تعلمناه من أساليب العلوم الطبيعية فإن السياسات الذكية في التعامل مع هذه الجزئية الجوهرية تجد حلها الأمثل في الاتفاق المبدئي على حدود دنيا تفرض نفسها بأقصى إلزام على «الآخرين» من الذين يريدون للسلام أن يرفرف دومًا على

علاقاتهم بالمجتمعات والجماعات الإسلامية.

ومن دون أن ندخل في تفصيلات -كررنا الوعد بالبعد عنها- فإن هذه الالتزامات في عمومها لن تكون أوسع حجمًا من تلك القائمة بالفعل فيما يتعلق بعلاقة المجتمعات الغربية باليهود: دينًا ومتدينين وتراثًا ومنتمين؛ وهذا مما يجلب الاطمئنان إلى حقيقة إمكان النجاح مستقبلًا بناء على ما تم من نجاح التجريب التجريدي والمتجسد بالفعل فيما قبل عصرنا الملح في تعبيره عن رغبته في ارتياد آفاق السلم الدولي والإقليمي.

٤

أنتقل بعد هذا إلى فكرة الإرهاب التي شارفت مرحلة الاستهلاك بعد أن أبيدت بها مدن مسلمة على مدى سنوات طويلة في ظل اجتياحات دورية تولت نشرها حالات من حمى الهجوم على كل تدين إسلامي، وقد أصبح الرأي العام الإسلامي الآن يتوجس من الاستدعاء الروتيني لهذا اللفظ في التوجهات السياسية للدول الكبرى.

ومن المنطقي أن الحروب الموجهة ضد الظاهرة لها عمر لا ينبغي أن تتجاوز أمده حتى وإن كانت قد استوفت هدفها.

ولعل هذا هو الطابع المسيطر الآن على الانطباعات الغربية تجاه الحرب على الإرهاب، وهو الطابع الذي تعبر عنه مقولات أصبحت شائعة الآن في المجتمع الغربي من قبيل:

- نحن مَنْ صنع الإرهاب.
- لسنا على استعداد لبذل مزيد من الدم الجالب للدم.
- هل نقضي على جماعة إرهابية لننعش وجود جماعة إرهابية أخرى.
- لماذا لا نلجأ إلى ضرب هذه الجماعات بعضها ببعض بدلًا من التورط بجنودنا ودمائنا.

٥

وقد عبرت هذه المقولات الأربعة عن اتجاهات فكرية وإستراتيجية كانت كفيلة بخروج غربي جزئي وحاسم من مسرح العمليات الحربية، وهو الخروج الذي ارتبط بالابتعاد عن التورط الجديد في موجات التعدي على المسلمين والمجتمعات الإسلامية،

حتى لو لم تكن النية خالصة للقيم الأخلاقية والإنسانية لهذا الابتعاد عن التعدي.

وفي هذا الصدد فإن أي مؤرخ «متعدد الحقب» يستطيع أن ينتقي من حوادث التاريخ ما يجعل الضمير الجمعي في المجتمعات الغربية يدرك عنصر السجال وتبادل الانتصار في مواجهات الشرق والغرب بعيدًا عن الاعتقاد الكاذب في سيادة الجنس الأبيض؛ وهو اعتقاد قاتل إضافة إلى كونه غير إنساني وغير سياسي؛ وهو أيضًا اعتقاد لا إسلامي ومعاد للإسلام؛ وقد بات يستدعي التفنيد التام والجذري قبل أن يدفع بالغرب الأبيض إلى خطوات انتحارية تتعدى سلوكيات الرعونة إلى سلوكيات الانتحار.

على صعيد ثالث فإن فكرة نقل التكنولوجيا إلى مجتمعات الإسلام يجب أن تكون جزءًا من نقل منظومة حضارية كفيلة بالتقريب الإنساني ومنع الحرب؛ فقد مرّ إلى غير رجعة عصر نقل التكنولوجيا من خلال سلع محددة بأثمان محددة في تنافس شبه محدد بين متنافسين محددين ومعروفين بالاسم.

٦

وفي هذا الصدد ربما أذكّر القارئ أن حقبة الإقبال على شراء الفيديوهات كانت تواجه المستهلك بأربعة خيارات للسلعة مع هوامش معقولة في تفاوت أسعارها من بائع لآخر، فلما جاءت مبيعات الأطباق اللاقطة للفضائيات اتسعت الفكرة لاختيارات متعددة بين بدائل لا نهائية في مكونات المنظومة مع انخفاض التكلفة الإجمالية النسبية إذا ما قورنت بتكلفة الفيديو من قبل.

وقد نجح المجتمع الاستهلاكي في الدول الإسلامية في فرض احتياجاته المتفاوتة على العارضين ومقدمي الخدمة وبالتالي على منتجي السلعة والمنظومة الخدمية، لكن هذا الانتصار الظاهري والاختياري لم يصل حتى هذه اللحظة إلى استدعاء قيم الذات الإسلامية في النفور من الجريمة ومحاربة العنف وتجريم الجنايات ورفض السرقة والاغتصاب واحتقار الخطف والنهب، وقد كان كل هذا ممكنا في المراحل الأولى لبناء المنظومات الجديدة، ومن حسن الحظ أن هذا لا يزال ممكنا وإن كان متطلبا لجهد أكبر.

ومع أن المتوقع هو أن تمول مجتمعات الإسلام هذه الخطوات التوجيهية في انتقاء

منظومات التكنولوجيا فإن واجب المجتمعات الغربية تجاه نفسها وتجاه الإنسانية يفرض عليها اهتمامًا حثيثًا بمشاركة جادة في هذا التوجه.

٧

ولعلي أبسط القضية بالإشارة إلى أن المصمم المعماري لبيوت المسلمين منذ أواخر القرن التاسع عشر انتبه بذكاء إلى ضرورة قيمة «الستر» في ترتيب مكونات البيوت الصغيرة في المجتمعات الإسلامية بما جعله يوازن في رسوماته بين حجرات الخصوصية (النوم) وبين مكونات الشطر الآخر القابلة لأن تكون تحت نظر الضيف القادم؛ وهكذا مضت بيوت القاهرة الخديوية وما تلتها من حقب أوربية؛ فلما حدث بالصدفة غير البحتة نقل لنمط سوفييتي في عدد محدود من المباني أصبحت هذه العمارات (الكاشفة للستر على حد تعبير المصريين) نشازا يعتذر عنه شاغلوه بأنه كان مبنيًا في الأصل للخبراء السوفييت.

أما الآن فقد فرض المجتمع الفضائي المفتوح رؤيته بعمومية مسيطرة وإن كانت غير قاسية، وترك للمستهلك المسلم أن يوازن بين متطلباته وما هو متاح من خلال اللجوء إلى إستراتيجيات عديدة تقتضي أن تتدخل الدول (غربية وإسلامية على حد سواء) بنصائحها الكفيلة بتجاوز مناطق الخطر في نقل التوجهات المعلوماتية الكفيلة بتدمير ما تبقى من أواصر الود القابلة للنماء بين الإسلام والغرب.

وعلى سبيل المثال فإننا إذا تركنا تدفقات الإعجاب العابر تحكم ما ينتقل إلى المسلمين من توجهات الغرب في التعامل معهم؛ فإن تصريحات ترامب ولوبن وأمثالهما ستطغى على وسائل التواصل الاجتماعي تبعا لنتائج الأساليب الترتيبية التي ظهر أن المؤسسات الرسمية في الولايات المتحدة الأميركية نفسها أصبحت متململة منها إلى الحد الذى دعاها لعقد جلسات برلمانية لمناقشة ما وصفته بأنه قواعد ترتيب أهمية الأخبار المنشورة.

٨

وهنا أستطيع القول بكل وضوح إن أبرز معاناة لمجتمعاتنا الإسلامية في الفترة الراهنة تكاد تتمحور حول الاستفزازات والمنبهات الواردة إليها عبر وسائط الاتصال الاجتماعي.

ومن حسن الحظ أن علاج هذه الاستقطابات ممكن أيضًا بالطريقة ذاتها؛ لكن

شيخوخة مؤسسات الإعلام القديمة والتقليدية تكاد تقف كحائط صد منيع بين النتائج الطبيعية أو المرجوة وبين النتائج «الميكانيكية» غير المرحب بها.

وفي هذه الجزئية دون غيرها تبرز مثلًا إمكانات الإسلام الهائلة في تجديد التواصل مع الإله المعبود وما اختاره لعباده من قيم تعبر عنها الصلة الروحية والبدنية المتمثلة في الصلوات الخمس بكل ما فيها من عناصر يمكن وصفها حتى بلغة المادة الصماء بأنها بروتوكول وأداء والتزام ورياضة وتجديد؛ فضلًا عما تقتضيه هذه الصلوات من نظافة وتخصيص وتوقيت وترتيب وتهيؤ بدني وملبسي.

وليس أدعى للتعويل على نجاح الحوار الحضاري من هذه العناصر المتآزرة عند كل فرد من المجتمع المسلم مهما بسطت أو «تباسطت» طبقته الاجتماعية.

تعقيبات

يوسف بن تاشفين:

مهما عزف الغرب على لحن الديموقراطية والإنسانية فإن فلسطين وهي التي في نظري الميزان التي أحكم به على الأمم المتحدة المخزية المحاربة للإنسانية. أين هي الانسانية في عالم تُحتل فيه أرض ويُقتلع منها شعبها وتُمارس كل أنواع الإرهاب ضد أبنائها ثم تُصوت هذه الدول التي تتدعي الحضارة بفيتو لينزع حقًا من حقوقها وفي نفس الوقت يبقى هذا العالم صامتًا أمام براميل تفجر الرؤوس وتهجر الشعوب لأن هوى المجرم قرر ذلك. على من يضحك هؤلاء المدعون بالتنويريين بل فلسطين تصرخ وتعلنها أنهم ظلاميون. الحضارة هي الأخلاق لا غير.

الوثني أصدق من المستنير!

النسق العام في المقال يعني أن المجتمعات في اليابان وكوريا والصين.. الخ مستنيرة رغم وثنيتها! فمهما على كعب الإنسان في العلم يبقى جاهلًا إذا لم يقده علمه إلى الله! هنا يكمن السر الخارق الذي دفع المسلمين الأوائل لتغيير وجه العالم في أقل من ربع قرن، مؤيدين بقدرة الخالق الذي آمنوا به وجاهدوا بلا حدود لإعلاء كلمته! أما مستنيرو هذه الأيام فهم مَنْ مَنَّ الله عليهم بنعمة العلم لِيُرِيهم آياته فعبدوا العلم، ونسوا الخالق العليم الذي سيهلكهم كما أهلك عادا وثمود من قبل! لذا فالمستقبل للمسلمين إذا صدقوا الله العهد.

جاسم البحراني:

ما ضيعنا إلا هذا الفكر النظري واتهام الغرب بفشل النظريات عند تطبيقها واستجداء الغرب لتوفير الحماية ونقل التكنولوجيا، نظرياتكم فشلت وتحملوا العواقب ، حتى الغرب لا ينقل التكنولوجيا لنفسه

لأنها متغيرة باستمرار بل يخلقها ويطورها، فأي مجتمع يتوقف عن تطوير نفسه وتكنولوجيته فعليه السلام.

العمورى محمد:

مجتمعاتنا لا تنتظر شيئًا، وننتظر أن تتحرر ونسعى لبلاد كل أنه الأرض حرة مستقلة وبسيادة وتعيش على فطرتها وعلى الإسلام بعصرنا ، والإسلام دين عصر وزمان ومكان، فلم لا تنتهج شعوبنا نموذج تركيا ؟ هل لا تحسبن أنكم أكثر إسلامًا منهم ، والإسلام بالقلوب؟

عادل:

أولًا كيف تقولون إن الغرب يعادي الإسلام وهو الذي يسمح ببناء المساجد في كل مكان (فرنسا، ألمانيا، بريطانيا.....الخ) حتى اللغة العربية ستدرس في مدارس فرنسا السنة المقبلة .. المجتمعات العربية خصوصًا والإسلامية عموما تتصرف كالدونكيشوت دي لمنشا هي تصتنع عدوًا وهميًا و تتدعي أن هذا وذاك يعاديها. لا يوجد بلد إسلامي واحد يسمح ببناء الكنائس لغير المسلمين حتى في إسرائيل يُسمح ببناء المساجد، حان الوقت أن ننظر في المرآة و نصارح أنفسنا.

صفاء:

أ.عادل.. الغرب يعادي الإسلام لأنه يدرك أن سر قوة الأمة تكمن في عودتها لإسلامها لذلك يشوهونه ويحاربونه في شخص المسلمين ونظرة لمساجد المسلمين في غزة وسوريا والعراق وو..من يهدمها على رؤوس المصلين؟! إما محتل بغيض مدعوم، أو استبداد غاشم مدعوم الغرب المستعمر نهب خيرات الأمة وثرواتها وتركها تجتر مرارة التخلف والأمية ونصب وكلاءه عليها ليتمموا ما بدأه هو يسعى ليظهر بمظهر المتمدن والحضاري، وواحة الديمقراطية في حين يغتال حلم الشعوب في أن تنعم هي أيضًا بالحرية والكرامة لو نهضت الأمة من كبوتها سيشع نورها في كل بقاع العالم.

❑

الفصل الثاني عشر
الفكر الإسلامي وإشكاليات العصرنة

١

في الشهور الماضية ازداد الالحاح على مناقشة فكرة إجراء تحويرات على الفكرة الإسلامية لتضمن تقليلا من درجات تخوف الغربيين من الأسلمة ، ومع التحفظ الذي لابد منه على جدوى وإمكانية هذا النمط المتعسف من التفكير في الأديان على أنها نصوص قابلة للمعالجة البشرية فإن هناك سؤالين ملحين يقبلان التأمل بقدرما يتيحان الفهم ، وسنحاول أن نقدم مقاربات مرتبة لهذين السؤالين:

- هل يمكن تعديل الإسلام بحيث تتقبله الديمقراطية الغربية؟
- هل يمكن تعديل الإسلام بحيث تتقبله المجتمعات الغربية؟

وربما كان من الأفضل أن نتناول هذه الاختلافات علي درجات متتابعة من درجاتها الاختلافية المتجسدة في الواقع.

الصورة الأولي : الاختلاف غير الملزم

و هو اختلاف يلتزم المسلم به ويلزم به نفسه دون أدني مشاركة من المجتمع من حوله، لكن هذه المسئولية الغائبة أحياناً ما تستدعي نفسها وتفرض نفسها علي الغربيين المنصفين، وذلك من باب اللياقة الاجتماعية ، وتصبح بمثابة عبء ولو بسيط علي المجتمع الغربي.

المثل على هذا النموذج واضح، وهو أن المسلم الملتزم لا يشرب الخمر. أذكر أول احتكاك لي بهذا االاختلاف في سهرة نهاية الأسبوع للأطباء العاملين في قسم الجراحة حيث ذهب الجراح الأكثر شبابا لشراء المشروبات و كنت في صحبته ، هناك انتبه الطبيب النائب أنه لابد من شراء عصير للمسلم الذي لا يشرب الكحوليات ، و مع أن ثمن العصير لا يمثل شيئًا يذكر فإن عبء «احترام الاختلاف» كان واضحًا. وهو عبء لياقة في البداية والنهاية ذلك أنه لو لم يتم شراء نوع من العصائر لأصبح مجتمع هؤلاء الأطباء

(حسب منطق الحضارة والبروتوكول) متهماً بالتمييز معنويا .

من الوارد أن يكون بعض الأطباء في مثل هذا القسم لا يتعاطى الكحوليات، لأسباب أخري غير مرتبطة بالحلال و الحرام والإسلام ، لكن أطباء القسم الذي شهد هذه الواقعة (حوالي العشرين) كانوا جميعا كحوليين.

هل لي أن انتقل بك إلى افتراض نظري على الشاطئ الأخر لتتصور الطبيب الشاب كحوليا غير مسلم وأتى إلى قسم في بلد مسلم لا يضم بين جنباته إلا أطباء مسلمين غير كحوليين.

أعلم بالطبع أن شرب الكحوليات ليس هو الأصل ولكنه الاستثناء ، ولكن ماذا بوسعك أن تفعل وأنت تواجه تعسفًا في مناقشة من هذا النوع في هذا الموضوع .

٢

الصورة الثانية: افتعال الاستقطاب

حيث تزداد درجة الحدة في الاختلاف ومردوداته بعض الشيء، حين تضطر الطائرات العاملة في مناطق إسلامية إلي وضع إشارات واضحة وصريحة بخلو الطعام من لحم الخنزير، هذه الإشارة تستتبع ترتيبات كثيرة في المطبخ، وقد تتطلب نوعين من الوجبات، وأحياناً يصبح الوضع النهائي وكأنه في صورة استقطاب: أكل إسلامي، وأكل غير إسلامي. من الطريف أنه مع الزمن ومع الذكاء الاقتصادي واللوجيستي تطور الأمر بشركات الطيران إلى حلول لم تكن معروفة قبل الصحوة الإسلامية :

- بعض الشركات ألزمت نفسها ألا تقدم الخنزير على الإطلاق .
- بعضها وبخاصة في الرحلات القصيرة أصبحت لا تقدم وجبات مكتفية بإتاحتها للشراء كما تتاح بضائع الأسواق الحرة علي متن الطائرة .
- شركات ثالثة جعلت الاختيار بين ثلاثة بدائل أحدها الخنزير كي لا يكون الأمر استقطابا واضحا .

نعرف أن الأمور تطورت في العقدين الأخيرين إلى ما يلخصه مصطلح "حلال" لكن هذا الاستقطاب يظل متاحا لتوظيفه عند الحاجة حتى في وجبات المدارس الدولية ،

والمستشفيات ، والمعسكرات ، والمباريات ... الخ .

٣

الصورة الثالثة : البديل المكلف

طبيب مسلم في مستشفي للنساء والتوليد في دولة يبيح قانونها الإجهاض، لكن الطبيب بوازع ديني لا يقبل أن يمارس هذه العملية المصرح بها في وقت خدمته (وهو سلوك لا يقتصر على المسلم الملتزم وحده وإنما يشاركه فيه أيضاً بعض أصحاب المذاهب اليهودية والمسيحية).. هذا التصرف في واقع الأمر ينشأ عنه خصم من قوة العمل المتاحة، بما يتطلب تدبير قوة عمل إضافية عند إعداد الجداول إذ أنه لن يمكن الاعتماد علي «الطبيب الملتزم» وحده في النوبتجية التي يمكن أن يعتمد فيها علي واحد غيره من زملائه حتى لو كانوا بمنطق دينهم غير ملتزمين!! وهكذا ينسحب الاختلاف أو يعبر عن نفسه في صورة ارتفاع التكلفة الاقتصادية.

لكن طبيعة التربص المعادي تنبئنا أنه في هذه الحالة سوف يصبح الحديث عن سلوكيات الإسلام حديثاً عن **اختلاف** بينما يصبح في الشأن المسيحي حديثاً عن **التزام**. وشتان بالطبع ما بين التزام محمود!! حتى لو كان التزاما بدين !! وبين اختلاف غير مرغوب فيه! حتى لو كان هو الآخر التزاما بدين !!

٤

الصورة الرابعة: فرض الذاتية

تتجلى في لجوء المسلم الملتزم إلي أداء الصلاة في أوقاتها : ومع أن هذا يمكن حله في إطار التقليد الخاص بساعة الغداء (أو ساعتيه حيث يتناوب الموظفون ما بين الساعة الأولى أو الثانية حتى لا ينقطع وجود من يتعامل مع الجماهير) مع هذا فإن الدول الإسلامية لم تبدأ بعد في الغالب خطوة في هذا الاتجاه. فإذا كنا على سبيل المثال في مواجهة عميل أجنبي لمؤسستين عربيتين ، سواء أكانت المؤسستان عامتين، أم خاصتين، أم عامة وخاصة، الأولي تلتزم بالعمل في وقت الظهر، والثانية تعجز عن إتمام العمل في وقت صلاة الظهر، فإن السؤال: هل نقبل من الأجنبي تفضيله للمؤسسة الأولي علي المؤسسة الثانية؟

تتجلي المشكلة هنا في قدرة المجتمع الإسلامي علي فرض ذاتيته في داخله أولا وقبل كل شيء: فحين سيطرت منظومة الحضارة الجديدة على البشرية جعلت الأحد عطلة أسبوعية في بلاد تذهب للكنائس، ولما اختار المسلمون في بلادهم عطلة كان من الطبيعي أن يختاروا يوم الجمعة، لا أحد يعترض علي هذا الاختيار، لكن هل يمكن للمجتمعات الغربية أن تحترم إجازات مختلفة في الوطن الواحد، مؤسسات تتعطل الخميس والجمعة، وأخري الجمعة والسبت ، وثالثة الجمعة والأحد؟

قد يكون هذا سائغا نظريا ، لكنك تفاجأ بما ضغط به الاقتصاد الدولي على الحكومات حتى جعلها تغير موعد الإجازات الأسبوعية حتى لا يتعطل التعاون الدولي لأكثر من نصف أيام الأسبوع في ظل أجازات الخميس والجمعة في بلاد المسلمين والسبت والأحد في بلاد الغربيين ومن ثم لا يبقى من الأسبوع إلا أقل من ثلاثة أيام يعتورها هي الأخرى ما ينقصها بسبب فروق التوقيت .

٥

الصورة الخامسة : تعارض الحقوق الشرعية والالتزامات المدنية

يؤمن المسلم بحقه في تعدد الزوجات.. لكن هل يمكن له أن يبني على هذه العقيدة في بلاد لا تجيز هذا التعدد أوفي بلاد تعاقب عليه؟ وهل يكون من حقه أن يغير اتجاهه في معاملة زوجته بناء علي هذا الحق الأصيل الذي ربما يتنازل عنه بإرادته حين يعقد عقده علي زوجة تشترط عليه (وهذا حقها في بعض المذاهب الإسلامية) ألا يتزوج عليها غيرها؟

٦

الصورة السادسة : وراثة الدين

يؤمن المسلم بأن ابنه يحمل دينه، لكن مجتمعات أخرى تترك للأبناء حرية اختيار الدين، ومجتمعات ثالثة تعتبر أن الأبناء يتبعون دين أمهاتهم تلقائيا، هل يمكن أن نتجاوز هذا الاختلاف الواضح الذي يرتبط بهوية ابن المسلم من يهودية الذي يصبح صاحب دينين مختلفين بمقتضي قوة القانون في قانونين يبدوان عند التنفيذ تلقائيين؟

٧

الصورة السابعة : حدود الاقتراع وموضوعاته

يصل الخلاف في تقييم الديمقراطية إلي أنها هي الناموس الحاكم للأداء السياسي، وقد أبدي المسلمون عن اقتناع رغبة صادقة في قبول الديمقراطية لكن هل هل يمكن لهم أن يقولوا إنهم لن يضعوا الديمقراطية فوق الدين؟ وما هي إذاً تعاليم الدين في السياسة وممارساتها؟ هل يمكن في برلمان دولة إسلامية مناقشة السماح بزواج المثليين ؟

٨

الصورة الثامنة : الخلاف حول الحدود

يملك الإسلام تراثاً فقهياً عريقاَ، وواسع المدى والمعقول، لكن هذا التراث قد يبدو وكأنه يتعارض في بعض معطياته وأحكامه مع المتطلبات الحديثة لحقوق الإنسان في أوروبا. والقضية النموذجية هي عقوبة الإعدام، هل يمكن للإسلام أن يقبل التنازل عن عقوبة الإعدام التي هي في رأي بعض علماء الاجتماع تمثل عاملاً من عوامل استقرار المجتمع؟ ولا تزال سارية في بعض الولايات الامريكية ؟ كيف يمكن للإسلام أن يتنازل عن عقوبة قطع يد السارق؟

٩

الصورة التاسعة : مناخ الاستثمار وشماعته

كيف يمكن لبنك أجنبي في بلد مسلم يخضع لأحكام الشريعة الإسلامية بمقتضي الدستور أن يطمئن تماما إلي خلو معاملاته من خطر أن يقوم أحد المدينين المسلمين برفع دعوي بإسقاط الفوائد المستحقة للبنك عليه بدعوي تحريم الإسلام للربا أو للفوائد؟ وذلك مهما قيل عن سبق اختيار هذا العميل (بحريته وإرادته) للبنك الأجنبي وتفضيله له علي بنوك المعاملات الإسلامية التي لا تمانع في أن تحصل علي العائد تحت مسمي العائد بدلاً من مسمي الفائدة (!)

١٠

الصورة العاشرة : أطراف الحرية

إلي أي مدي يمكن للإسلام أن يتقبل اللغط الاحترافي المتكرر حول فكرة حرية

الفنون وحرية الإبداع فيها بدءا من قبول فكرة الموديل العاري في أقسام التصوير في كليات الفنون الجميلة ومعاهد الفن الأكاديمية، إلي فكرة حرية الإبداع في النصوص المكتوبة التي تتعرض للذات الإلهية وللأنبياء والصحابة بالنقد وربما بالتحقير؟.

١١

الصورة الحادية عشرة : الملابس في الطريق العام

ما هي حقوق غير المسلمين في ارتداء الصور الشاذة من الأزياء أو اللا أزياء في الطريق العام في الوطن الإسلامي؟ وما هي حدود الآداب العامة التي يري المجتمع الإسلامي أن تجاوزها قد يستدعي العقوبة الاجتماعية؟

و مع الانتباه إلى أن العالم كله يعرف أن هذه القضية اجتماعية قبل أن تكون دينية ، مع هذا فإن أعداء الإسلام لن يكفوا (من باب الحريات) عن توظيفها في الهجوم عليه.مهما كان تناقض دعاواهم مثلما حدث أخيرا في أزمة بعض السلطات المحلية الفرنسية مع البوركيني .

❑

الباب الخامس
مبررات غير كافية لقرارات غير مجدية

الفصل الثالث عشر
الأسلمة .. هل هي خطر حقيقي ؟

١

إذا سألت مفكرًا أوروبيًا معتدلًا بمنطق مادي بحت عن السبب الحقيقي لحالة الخوف من هجرة المسلمين أو حالة الخوف من الإسلام السياسي فإنه سيجيبك بتلقائية وفورية بأن الغرب لا يريد «الأسلمة» في حد ذاتها.

فإذا استمر السؤال عن السبب فإنك تجد مخاوف كلاسيكية من بعض صفات الإسلام وبعض صفات المسلمين، وإذا حللت هذه المخاوف إلى ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي (أو أسطوري) فإنك تستطيع أن تكتشف بسهولة أن هناك كثيرًا من المبالغة في التصوير، وقليلًا من الحق في الذعر، لكنك لا تستطيع أيضًا أن تنكر أن هناك ما يستحق الخوف الحقيقي.

٢

بعيدًا عن استنزاف وقت القارئ فيما يقتضيه الأسلوب العلمي من الاستعراض المستوعب، والتحليل المتعدد، والتبويب المنطقي، والعرض المتناغم فإننا في هذا المقام بحكم ضيق الحيز سنلجأ مباشرة بعد ما أتمناه من بحث ودراسة وتقييم للأمور إلى الأسلوب الطبي في كتابة «الروشتة» وتقديم التوصيات أو النصائح المرافقة لها.

أبدأ فأقول إنه على عكس ما هو متوقع فإن الخلاف والاختلاف في النظرية الاقتصادية بين الغرب والإسلام بدأ يتلاشى الآن مع الارتقاء الغربي المتواصل والمتكثف في فهم الوظيفة الاجتماعية للمال، وقد بات الغرب الآن يستحضر من عالم الاقتصاد المبجل كينز اكتشافه العظيم القائل بأن النمو الحقيقي لا يتحقق إلا مع اقتراب سعر الفائدة من الصفر.

وهكذا فإنه -ببساطة شديدة- ضاق الفارق بين الأساس الاقتصادي للمعاملات الإسلامية وبين الفكرة الرأسمالية الشائعة حتى بدأنا نسمع في بعض المناقشات

الإسلامية العملية (أو التنفيذية) ما ينبئ عن وجاهة (أو ضرورة) قبول الرأي القائل بحساب فائدة ضئيلة على الإقراض فيما يقابل المصروفات الإدارية.

وعلى الضفة الأخرى من البحر المتوسط بدأنا نسمع أن بعض البنوك الغربية تفكر ليس في تقليل الفائدة على الودائع النقدية إلى أقصى حد ممكن فحسب، وإنما في أن تتقاضى من المودعين مقابلًا لحفاظها على ودائعهم كما هو الحال في رسوم انتظار السيارات.. وهكذا أوشك الخلاف الكيفي في قضية فوائد رأس المال -التي يظنها البعض جوهر الرأسمالية الغربية الرافضة للإسلام- أن ينحصر إلى حدود كمية متضائلة ترتبط بالتشغيل لا بالتثمير.

٣

أنتقل قفزا إلى ما يتعلق بتعدد الزوجات، وما يلخصه أو يعكسه الخلاف في هذا الموضوع من مكانة المرأة أو طبيعة العلاقات المؤسسة للأسرة التي هي وحدة بناء المجتمع الإنساني، ولا يمكن لنا بمنطق مادي بحت أن نتجاوز النظر إلى مثل هذه العلاقات من دون استثمار موظف للمناظير الفكرية المعبرة عن الرؤى الحاكمة للحياة والسياسات.

وهنا قد يتعجب الإنسان من حقيقة طال تغييبها وهي أن فكرة التعدد في حد ذاتها تتوافق مع فكرة الليبرالية بأكثر مما تتوافق مع أي منظور ديني هنا أوهناك.

ولست أستطيع في هذا المقام أن أقاوم الإشارة إلى ما لجأ إليه المبشرون في أفريقيا من القول بأن الكنيسة سمحت بالتعدد في الحدود التي يسمح بها الإسلام!! و ذلك من قبيل تقديم -أو إتاحة- نموذج متوازن في مجتمعات توصف بأنها تقليدية، وهو كما نعرف تعبير مهذب عن البدائية.

ومع أني لا أدري حدود أو أرجحية أو إمكانية إدراج مثل هذه الفتاوى المسيحية في إطار سعي قادة الفكر الديني المسيحي إلى التوافق مع الحداثة أو إلى الحداثة نفسها، فإني أجد نفسي أمام الإقرار بصعوبة قبول فكرة بقاء الغرب على أفكاره الكلاسيكية فيما يتعلق بالقيود المعبرة عن نفسها فيما يعرف على أنه الزواج الشرعي الوحيد بعد أن أقر بزواج المثليين مع ما يستتبعه مثل هذا الإقرار من القياس على الجديد المباح من حقوق يكتسبها

كثيرٌ مما لم يكن يعتبر شرعيًا في القديم.

٤

أنتقل إلى ما يتعلق بالقضايا المتعددة المرتبطة بالمساواة بين الجنسين في محاورها المتعددة لأكتشف بسهولة ما أصبح معبرا عن نفسه بقوة من خروج الأمر في المجتمعات الغربية والإسلامية على حد سواء من إطار القواعد العامة المطلقة إلى إطار القواعد شديدة الخصوصية.

ويكفيني في هذا الإطار أن أضرب ثلاثة أمثلة سريعة:

- يتعلق أولها بالمساواة في الأجر؛ حيث لاتزال المجتمعات الإسلامية من باب الغرابة تنتهج فيه سياسات أكثر انحيازا للمرأة من الولايات المتحدة الأميركية نفسها.
- أما الثاني المتعلق بحقوق الميراث فيدلنا على حقيقة غريبة وهي أن تشابه فقه مذاهب الشيعة مع فكرة المساواة لم يمنع الغربيين المتبحرين في دراسة هذا الموضوع من الإعجاب بوسطية مذهب أهل السنة في تشريعات هذا الباب.

ولعل الاختلاف الأوروبي في قواعد توريث العرش في الممالك المختلفة يدلنا بوضوح على أن النظرة الحاكمة ليست مطلقة، وأن للتدرج والتنوع مكانين باقيين

- أما المثل الثالث فقد تكرس بوضوح منذ سنوات في دلالات الأخبار والتعليقات التي صاحبت إقرار مصر -بثقلها الإسلامي الدعائي- لقانون الخلع مما نبه بعض المتابعين في العالم الغربي إلى أن المرأة المسلمة لها حق قديم مقرر ومعروف ومؤطر في إنهاء العلاقة الزوجية.

وبمثل هذه الأمثلة الثلاثة ترتسم صورة التفاضل في نظرتين شاع واستقر أنهما متناقضتان بينما الأمر في حقيقته أقرب إلى التكامل بمعناه الرياضي منه إلى التناقض بمعناه الفلسفي.

٥

أنتقل إلى مثل من ميدان رابع يتعلق بالحلال والحرام فيما يؤكل وفيما يشرب، وليس من نافلة القول الذهاب إلى تقرير حقيقة باتت معروفة، وهي أن الإنسانية بنضجها المعرفي في

علوم الطب والبيولوجيا والتغذية ووبائيات الأمراض قد تجاوزت بالفعل كل المناقشات القديمة في حكمة وعلة التحريم الإسلامي لبعض الأطعمة والأشربة.

وقد تطورت الأمور في التعامل مع هذه القضايا لتضع التحريم «البراجماتي» إلى جوار التحريم «المقدس» بسلاسة من دون أية مماحكة من ناحية، أو تلفيق من ناحية أخرى.

ولست في حاجة إلى أي تدليل على صواب ما ذهبت إليه فالذين يعبرون الجنسيات والسيادات الآن (بالتعبير المتعدي للجنسية) أصبحوا أكثر بكثير من الحجم الحرج الكفيل بإثبات سيادة وقبول هذا الفهم الإنساني في ربوع الإنسانية؛ وهو فهم يميل إلى رد الاعتبار لمنظومة شريعة الإسلام في تنظيم الحياة اليومية.

٦

أنتقل إلى مثل من ميدان خامس يرتبط بالملابس أو على وجه أخص بقضايا النقاب والحجاب.

ولست بالطبع من الذين يسمحون لأنفسهم بقول حاسم في مثل هذه القضية، لكني لا أستطيع أن أغفل الإشارة إلى ثلاث ظواهر مبشرة بالقدرة على تجاوز الإشكاليات البازغة في هذه القضية.

- أولى هذه الظواهر يرتبط بما بدأ يعرف ويتداول عن تعاليم بعض الطوائف اليهودية الموجبة للنقاب!! وهو أمر كاد أن يندثر لا أن يُتجاهل فحسب، لكن تعميق تبادل المعرفة من خلال وسائط التواصل الاجتماعي أعاده للنور.
- وثانية هذه الظواهر ترتبط بما لا يزال يفرض صورته في هذا الزي الملتزم الموحد لريفيات مصر من المسلمات والمسيحيات على حد سواء، وهو ما أظهرته وثائق التسجيل الاجتماعي بما فيها تلك الصور المتاحة لسيدات العائلة البطرسية التي ينتمي إليها الدكتور بطرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة.
- أما ثالثة هذه الظواهر فترتبط بوضوح مع ما بدأت تميل إليه الأزياء الموحدة في شركات الطيران من تقارب شديد مع الصورة الشائعة عن الزي الإسلامي وهو تقارب غير مقصود لذاته وإنما هو مقصود لوظيفته المتوافقة مع البيولوجيا والسوسيولوجيا والمكانة بمعانيها الواسعة.

٧

أتشجع فأنتقل إلى ميدان سادس أكثر أهمية واعتبارا من كل هذه الميادين الخمسة وهو الحديث عن المخاوف المتكررة (بل المزمنة) من فكرة الجهاد والاستشهاد، وهي مخاوف حقيقية لكنها لا يمكن أن تفهم بعيدًا عن فكرة الاستشهاد وما يقابلها في العقائد المسيحية على وجه التحديد.

ومن الطريف أن المتغربين العرب أو المتأثرين بالغرب يلتقون -عن غير قصد- مع بعض غلاة السلفية في نفي فكرة الاستشهاد عن غير المسلم.

ومن الطريف أيضا أن التاريخ المصري يخلد لأقباط مصر عصر الشهداء الذي قاوموا فيه الرومان من أجل تمسكهم بعقيدتهم، ويخلد لهم الضمير حتى الآن في مدينة الإسكندرية شارع الشهداء، ومنطقة الشهداء.

ومن الثابت أيضًا أن المسيحي الذي يستشهد لأجل غاية من غايات الاستشهاد في عقيدته لم يقل إنه يستشهد على الطريقة الإسلامية؛ لكن الأمر اللافت للنظر أن الباحثين السياسيين الأميركيين المحدثين هم الذين يكثفون الجهود «العلمية» من أجل أن يكون مفهوما الجهاد والاستشهاد مفهومين إسلاميين سنيين، وفي هذا ظلم بين للإنسانية لا يتوازى مع حجم الافتراء الموجه ضد قيم إسلامية سامية.

٨

أختتم بحديث سابع (وأخير) لا يقل جسارة عن حديثي السادس لأنه طرح يبتغي لفت النظر إلى إشكالية لم يتحدث عنها أحد حتى الآن وهي «إشكالية التنصير والأسلمة».. فإذا تذكرنا أن البابا يوحنا بولس السادس كان معنيا بالتنصير فمن باب الحدس الصحفي يصبح من الواجب البحث عن دور مواز لقيادة دينية إسلامية تكثف جهدها نحو الأسلمة.

وفي هذا المقام لا يمكن الاكتفاء على سبيل المثال بالإشارة إلى وجود أو نشاط جماعة التبليغ فهذه الجماعة من حيث الشكل والنشاط لا تناظر -من حيث الشكل والكيان- إلا جماعات التبشير المسيحية، ولا يمكن أن تكون معادلًا موضوعيًا لانشغال رأس الكنيسة الكاثوليكية الأولى بنفسه بتنصير العالم وليس أسلمته، وإن كان قلمي لا يطاوعني أن

أتجاهل مقولتي المشهورة أو غير المشهورة : «إن التنصير الحقيقي لا ينتهي إلا إلى الأسلمة» وهي مقولة لها دلالتها الواضحة، كما أن لها دلالتها الخفية التي يدركها كثيرون غيري.

تعليقات

نور:

يعجبني عند الكاتب قوة المراقبة والملاحظة لقضايا عديدة ويتبع في مقالاته المعقدة عادة، (وأحيانًا المبهمة)، أسلوب التأمل والرصد فيما يجري في العالم. ولكن بصورة عامة الموضوع المطروح هنا غير صالح للمناقشة لكون الأمة الإسلامية (والعربية خاصة) موجوعة وفي حالة يرثى لها بكل معنى الكلمة. هل يكفي أن نقول: ليس في دين الإسلام عوجًا أمام أقوام فقدنا الاحترام في عيونهم، وصاروا يتطاولون علينا ويسخرون منا أينما وجدوا. من المسؤول هنا عن تدهور أوضاع المسلمين وسمعتهم وخوف الآخرين منهم؟ علينا ترتيب البيت الإسلامي أولًا.

ندى:

مقال قمة في العطاء شرحًا وتفصيلًا، شكر الله للدكتور محمد الجوادي، المقال أعجبني للغاية.

دورة لجوء:

هناك فرق بين المسيحي والعلماني والماسك للحكم في الغرب والذي يكتب عن ما يكتبه المقال دون معايشة الواقع.

حمد:

نعم الأسلمة خطر إن كانت من قبل متطرفين ينشرون الطائفية والكره، والأمثلة موجودة في متعصبين متطرفين في السنة والشيعة سواء(...) .

Djamel:

هناك صنفان من المتخوفين من الإسلام: الأول: الصنف الذي يكره تقييد الحريات ويريد أن يفعل ما يشاء ولا يعتقد أن هناك شيئًا اسمه دين وهذا ليس مقتصرًا على الغرب بل موجود في أكثر بلدان العالم إدعاء بأنها مسلمة !.الصنف الثاني هو مَنْ لا يعرف الإسلام إلا من خلال تصرفات «المسلمين» وهنا الكارثة فبصراحة رغم أنني مسلم لكنني لا أرى في تصرفات المسلمين إلا ما يبعدك عن الإسلام والعياذ بالله. سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا تشعر أن كل ذلك فيه نفاق كبير وهذا ما يعرفه الجميع ويعاديه حتى من المسلمين أنفسهم.

منجي التونسي:

مقال يبدو في غلافه متفتحًا ، ولكن في باطنه يضمر تشددًا. باختصار يريد الكاتب إقناعنا بأنه يجب على الغرب أن يتأقلم مع كل تراثنا التاريخي والثقافي الذي هو أحسن ما أتت به البشرية ولا موجب من

ناحيتنا أن نجدد في قراءة موروثنا ومعتقداتنا. باختصار مقال يزيد من دورانا في الحلقة المفرغة، ولم تكن له الشجاعة الاعتراف بأن في موروثنا ما يجب إعادة النظرة فيه.

جواد عابد:

شكراً للدكتور على المقال النوعي. يذكرني هذا الحديث بكتاب «معالم في الطريق»، حيث يروي الشهيد بأن الإنسانية باتت على شفا الإفلاس الحضاري، وأن هنالك حاجة لمجتمع حركي إسلامي نوعي يحدث انقلابًا في الجاهلية الحديثة...

سامان عبدالكريم:

الإسلام ليس رأيي أو رأيك، مصادر التشريع الإسلامي أربعة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، والمذاهب السنية المشهورة أربعة، إذن السؤال المخيف الآن: إن سيطر الإسلاميون على مقاليد الحكم أو سيطروا على بلاد غير مسلمة ماذا يفعلون؟الجواب ليس صعبًا بالمرة، يطبقون ما جاء في الفقه الإسلامي بحذافيره، ولا يلتفتون لرأيي أو رأيك، ولكي أختصر: تتحول كل مدينة إلى رقة أو موصل، وكل شعب لا يدين بمذهبهم إلى ما حصل لليزيديين في السنجار: سبي و عبودية جنسية وإبادة للذكور، كلام قاس، ولكن لا يمكن لأي فقيه تفنيده، دعك من العامة.

الشرع أمان من المجرمين:

العلمانيون من المسلمين لم يقترفوا جرائم إبادة كالتي اقترفتها الأمم الأخرى،عندما طبقت الشريعة بحذافيرها نعم الناس بالأمان، وسأعطيك الإعجاز وتدبر، بالنظم العربية والعالمية، الأماكن القانونية التي هي تطبيق للشرع كالزواج مثلًا بالدول العربية فينعم المجتمع بهذه الأماكن القانونية بالأمان وباقي التشريع هو دمار وتخريب وفساد يعبث به المجرمون، أعطني أنت تشريع بهذه الواقعية والميزة للمستضعفين.

algerian:

لست أدري كيف يجب أن يقترب سعر الفائدة من الصفر (ليتطابق مع الفكر الاقتصادي الإسلامي الذي يحارب الربا) ويستطيع إعالة موظفي بنوك عابرة للقارات يشغل بعضها مائة ألف موظف. ولست أدري من هذا المستثمر الذي سيقبل استثمار أمواله من أجل فقط دفع رواتب الموظفين (مع العلم أن هدف كل عمل اقتصادي تحقيق الأرباح) الكاتب يحاول إعادة تشكيل (مودلاج) الليبيرالية الغربية ليطابقها مع الإسلام، فيما يخص الأسرة طبعًا الليبيرالية هنا يجب ألا تتجاوز ليبيرالية بسقوف عددية تفرضها مقتضيات المطابقة مع الفكر الاقتصادي الإسلامي.

مصراوى:

كيف تأتي بقيادة إسلامية دينية تكثف جهدها نحو الأسلمة وكل من على الساحة متاجرون بالدين من أجل أغراض سياسية كالجماعة التي كانت تسمى بجماعة الإخوان.

الفصل الرابع عشر
الحدود المقلقة للفكر الإسلامي المعاصر

١

من المؤكد أننا لا نستطيع الزعم بأنه من الممكن استشراف إشكاليات الفكر في المستقبل الإسلامي ، ذلك أن هذا الفكر يمر اليوم بفترة متأججة من القلق وبخاصة في تناول القضايا التي تعرض له، ولا أظن أن مرجع هذا القلق يعود إلي الفكر الإسلامي أو الإسلام نفسه، ولكنه يعود في تخيلي إلى قلق الذين يتناولون قضايا هذا الفكر، ولهذا القلق الذي يعتريهم أسباب كثيرة:

- أولها: أن تناول قضايا الدين في حديث حر مستطرد مرسل ليس أمرًا سهلًا، وإن كان متاحًا علي كل حال، بل ومحببًا في كثير من الأحيان.
- ثانيها: أن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تتناول الحديث عن أمور الدين إلا إذا أصابت من عمق التجربة والمعرفة بالفكر الديني قدرًا ليس باليسير، ذلك أن هذا الفكر متعدد الوجود، ومع أنه بسيط العبارات في أغلب الأمر، إلا أن العبارات الإلهية فيه – علي سبيل المثال – تكون عادة محملة بطاقات لا تنتهي من الدلالات علي مستويات مختلفة.
- و الأمر الثالث: أن الذين يتناولون أمور الدين والفكر الديني، كثيرًا ما يجدون أنفسهم يقفون في حيرة شديدة وهم يجدون سيلًا من النصوص المتراكمة التي أبدعتها أو خطتها العقول السابقة، وتتمتع هذه النصوص في العادة بقدر كبير من الإغراء بالنقل عنها، أو بعدم تجاوزها على أقل تقدير، وإذا بهؤلاء الذين يتعرضون للفكر الديني أكثر الناس جدارة بترديد قول مَنْ قال: ما ترك الأول للآخر شيئًا.

٢

علي الرغم من هذا فإن القضايا المعاصرة تظل بمثابة الباب المفتوح علي مصراعيه للولوج إلي مناقشة الجديد الطارئ بعقلية تحتفظ في الوقت ذاته بالفرصة المتاحة في التعبير

عن الذات. كأني أريد أن أقول إن مناقشة قضية مستحدثة يعطي الفرصة للاجتهاد الذاتي بعيدًا عن إطار السابقين، فكأن الفرصة للتعبير في حرية وبحرية قد أتت مع الطارئ حين طرأ على غير توقع.

ومع هذا تظل هذه الفرصة محفوفة بالمخاطر والمخاوف حين يسارع النصوصيون إلى أن يلبسوها بسرعة الثوب الذي يجعلها قابلة للتعامل بحسبانها قضية قديمة.. بعبارة أخرى أن يقربوها إلي أقرب قضية قديمة تخضع لنص جاهز.. وفهم مسبق.. ولابد لهؤلاء النصوصيين أن يفعلوا هذا بكل جديد مهما كلفهم هذا من عنت أو أصابهم بالتعسف.

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن هذه هي طبيعة الحياة في كثير من مناحيها ومناشطها لا في القضايا الدينية فقط، ولكن في كثير من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والعلمية.. ولكن الفارق الجوهري يبقى في أن درجة الاستقطاب تبقي عالية إلي حد مذهل إذا ما كان الأمر متعلقًا بالكتابات الدينية ومن باب أولي بالفكر الديني.

٣

ومما يزيد من طبيعة الاستقطاب في الكتابات الدينية ومن باب أولي بالفكر الديني أن الحكم عليها يكاد يصدر في الغالب من قبل قراءتها، بل ومن قبل تناولها.

- فهناك الحكم علي المؤلف بشخصه.. وهو نادرًا ما يتغير عند القارئ أو المتلقي ليكون شيئا آخر غير ما قد يسمي بالانطباع الأول.
- وهناك عنوان الدراسة الذي يشي بتوجه صاحبها وبموقفه.
- وهناك الانطباع والإيحاء والإيماء والظلال التي تتولد من العنوان إذا لم يكن العنوان في حد ذاته حاد الدلالة بصورة أو أخري.. وتلعب هذه الإيماءات الإيحاءات والانطباعات والظلال دورًا حاسمًا في تكوين الحكم علي المادة المكتوبة حتي من قبل قراءتها.
- كذلك فإن تقليب الصفحات كفيل بأن يجعل كثيرين من القراء يكونون فكرة سريعة وعامة عما في أيديهم.. ويكفي – علي سبيل المثال – أن كثيرًا من القراء يحكمون على المؤلف بمن استشهد بهم في متن المؤلف أو في هامشه.
- وكل هذه مجرد أمثلة سريعة لممارسات كثيرة لا نستطيع أن نلقي بمسئوليتها علي

القارئ وحده، حتى إن كان المؤلف يتحمل وحده معقباتها.

٤

مع هذا كله يظل تناول الفكر الديني من الموضوعات المحببة إلى نفوس الكتاب لأسباب كثيرة :

- منها – علي سبيل المثال – أنه شئنا أم أبينا موضوع محبب إلى القراء.
- ومنها أيضًا أن الإنسان يعبر في تناوله للفكر الديني عن أسمى ما فيه من مشاعر، وهي المشاعر المرتبطة بعلاقته بخالقه أو بربه.
- ومنها أيضًا أن مادة الحديث ثرية إلى أبعد حدود الثراء، ومثمرة أيضًا.
- هذا فضلًا عن أن الفكر الديني نفسه كفيل ببلورة موقف الكاتب تجاه كثير من القضايا الاجتماعية المطروحة، بل وغير المطروحة.

٥

وحين يكون الإسلام شريعة أو عقيدة أو دولة أو توجها هو موضوع الفكر الديني فإن الأمور تخرج إلى دوائر أكثر اتساعًا وجاذبية :

- فالإسلام نفسه (حتى عند الذين لا يعترفون بمكانته الدينية) دين متميز بتناوله كافة مناحي النشاط الإنساني: الاجتماعية والسياسية والعلمية والتربوية والحضارية.
- والإسلام نفسه أصبح محل دراسة واسعة في جميع أنحاء الكرة الأرضية.
- ولا تتوقف دراسات الإسلام عند خط ما أو حد معين، وإنما هي تمضي يومًا بعد يوم إلى أقصى مما يمكن تصور أنها تمضي إليه.
- ومع أن توجهات الدارسين تتحكم وتؤثر في طبيعة هذه الدراسة، إلا أن تنوع التوجهات نفسه كان كفيلًا بالتأثير في الدراسة نفسها..
- هكذا فإن الدراسات المتوالية عرضت كثيرًا من وجهات النظر.. حتى وإن كانت لم تصل بعد إلي الحقيقة.

٦

من الواضح حتى الآن وبحكم الممارسة والتجربة أن دراسات الإسلام في المجتمعات

العلمية الغربية لا تتراجع، ولا يتوقع لها أن تتراجع . بل إنها تجاوزت مرحلة الاهتمام المرحلي المكثف إلي مرحلة أصبحت فيها هذه الدراسات من الدراسات الروتينية وذات الطابع الدائم..

علي سبيل المثال فإنه وبعبارة جامعية أكاديمية - أصبحت لها كراسي متفرغة وأقسام متخصصة.

و من المؤكد أيضًا أن هذا الاهتمام لن يتوقف حتى لو أصبح الغرب شبه واثق من انتصاره الحتمي على هذه الصحوة الإسلامية المعاصرة.

أما في العالم الإسلامي نفسه فإن تقليب صفحات الفكر الإسلامي تعرض لكثير من التباين في التناول:

- فقد ظلت مؤسسات العلم التقليدية تؤدي وظيفتها «فائقة الروتينية» في تجديد تقديم العلم ، وفي تقييم التيارات الوافدة والآراء المستحدثة..
- لكن دور هذه المؤسسات - وفي مقدمتها الأزهر الشريف - لم يكن بحكم طبائع الأمور هو المسيطر على زمام الأمور.
- أما الأصوات المرتبطة بالحركات الإسلامية المختلفة فقد ظلت هي الأخرى تعمق من رؤيتها للأحداث وللمستجدات، وتعرض تصوراتها تجاه المقدمات والنتائج.
- وبلورت الحركات الإسلامية المختلفة من كل هذه المعطيات فكرًا إن لم يكن متكاملًا فهو - علي أقل تقدير - قد غطي مناطق كثيرة ومتعددة ومتباينة.

٧

بيد أن كل هذه الجهود الفكرية لم يقدر لها أن تكتسب المرجعية الملائمة، وكان هذا عائدًا لسوء الحظ إلى عاملين مهمين لا يستطيع أحد أن ينكر دورهما:

الأول : هو طبيعة الاجتهاد في تكوين هذه الأفكار الجديدة من ناحية.

والثاني : هو الحذر السياسي التقليدي الذي أصاب جماعات الإسلام السياسي بما جعلها لا تندفع أبدًا إلى موقف الالتزام بمثل هذه الاجتهادات مهما كانت ثقتها في ولاء وانتماء أصحابها..

وربما كان هذا مما يحسب لهذه الجماعات من وجهة نظر النجاح في التكتيك والعمل السياسي، ولكنها علي أية حال مثلت خسارة مؤكدة للجانب الفكري.

و على صعيد ثالث مواز للمؤسسات التقليدية والجديدة فقد برزت إلى السطح أسماء كثير من المجتهدين الهواة أو عشاق الشهرة والضجيج الذين أدلوا بدلوهم في الموضوعات المتصلة بالفكر الإسلامي، ومن المهم أن نتأمل أن معظم هؤلاء يبدؤون من نقطة متوسطة التحيز والانحياز كما هي العادة في مثل هذا النوع من الاجتهاد.. ولكنهم لأسباب كثيرة لا تخفى على القارئ سرعان ما يتحولون إلى الاتجاه المهاجم (ثم المعادي ثم المعادي الأبدي أو الحتمي) لما يمكن أن يسمي بالحركة الإسلامية.

ومن اليسير أن نزعم أن الخطأ في هذا التحول يعود إلي جماعات الإسلام التي لا تبذل جهدًا مناسبًا في استقطاب هؤلاء المتطلعين إلى دور فكري إلى صفوفها.. ولكن المؤكد أن الأمر لم ولن يكون بهذه البساطة لأسباب لا تخفي على القارئ.

تعقيبات

علي٢٠١٦:

لم يكن الإسلام منذ بدايته فكرًا منغلقًا بل على العكس فقد استوعب الفكر الإسلامي كل الحضارات التي تم فتحها بل و شارك أيضًا في تطويرها على مدى أربعة عشر قرنًا و لكن مشكلتنا في هذا الزمان قلة العلماء و كثرة من يفتون بغير علم فيضلوا و يضلوا.

:mohamed

تناول يضع القارئ أمام سؤال: هل نحن فعلًا أمام مقدمات لتجديد الطرح الإسلامي بكيفية توائم الواقع أي تنزيل النص فهما ووعيا بمقاصده أم سنضل عاجزين نتجرع صيغا ومصطلحات صحيحة في زمنها غير بالغة في زمننا؟ أقول صراحة إننا اليوم أمام مثلث رهيب أول أضلاعه ترسانة فكرية ضخمة غير مترجمة بفكر و آليات العصر ننظرها كما هي فنسيء إليها، و ثانيها مجددون أرادوا التماهي مع المقاصد حتى ميعوا النص وسموا أنفسهم رواد النهضة، وثالثها تعدد الأقطاب وحسن استثمار مراكز البحث والمعاهد الممولة من خارج حدود الإسلامي لتثبيت حالة الفوضى الفكرية والمرجعية.

جمال النهاوندي:

أليس غريبًا أن نسمع كل هذه المشاكل في الدول العربية فقط؟ فليس هناك مشكلة فكر ديني في أوروبا والمشكلة الحقيقية هي غياب حرية الرأي التي تسمح بنقد هذا الفكر وتمنعه من تدمير المجتمع

ووقف التقدم كما يحصل في الدول العربية. هذه هي المشكلة الحقيقية فإذا ألغينا قوانين حماية المقدسات وأقمنا دولا ديمقراطية علمانية، وسمحنا بحرية الفكر في اختيار الأديان أو عدمها فلن يكون هناك مشكلة فكر ديني.

رجا:

أرجو من الكاتب والمتابعين أن يرجعوا إلى تفاسير القرآن و إلى كتب الحديث عند اتباع أهل البيت الاثنى عشرية. مثل تفسير الميزان للعلامة محمد حسين الطباطبايى.

❑

الفصل الخامس عشر
التصورات الخطرة لعلاقات الفكر الإسلامي بالآخرين

١

ربما لا يختلف اثنان على حقيقة مهمة ومؤلمة في الوقت ذاته وهي أن كثيرًا من الكتابات التي كان يمكن لها أن تخدم الفكر السياسي الإسلامي أصبحت موجهة للنيل من هذا الفكر نفسه.. ومع أن الفكرة الإسلامية في حد ذاتها أقوي من أن تتأثر ببضع كتابات هنا وهناك، فإنه من المؤكد أن هذه الكتابات المتناثرة قد أثرت بطريقة غير مباشرة في طرح قضايا الفكر الإسلامي في الفترة الماضية:

- فقد استهلكت هذه الكتابات جهود المفكرين الإسلاميين في الرد عليها.. وقد استنفد هذا الغرض جهد كثيرين من المفكرين الإسلاميين الذين كان في مقدورهم أن يقدموا (تبعا لقاعدة الفرصة البديلة) جوانب مشرقة للإسلام وحضارته.
- ومن ناحية أخري منحت هذه الكتابات بعض الصكوك التي يبحث عنها بعض القناصة من الأكاديميين الغربيين الذين يجيدون التقاط ما هو كفيل بتصوير الحقائق علي أنها خلاف.
- ومن ناحية ثالثة فإن بعض الردود غير الذكية وغير المسئولة التي قدمها بعض المنتمين إلى تيارات الفكر الإسلامي قد آذت صورة هذا الفكر بطبيعة الحال.

٢

وحين أتيح لبعض هذه الآراء التداول على مستوى جماهيري في ظروف معينة فإنها تركت آثارًا سيئة في ذاكرة كثير من البسطاء والوسطاء الذين لا يتمتعون بالقدرة علي التمييز كما في حالة (البسطاء)، أو بالوقت الكافي لبذل الجهد للوصول إلى الحقيقة كما في حالة بعض (الوسطاء)..

ومن ثم كانت النتيجة أن قضايا الفكر الإسلامي أصيبت بلا جدال ببعض التشويه الذي يتطلب في بعض الأحيان بعض الجهد للعودة به حتى إلى نقطة الصفر الأولي.

ومن منطق الحديث بلغة الغرب السائدة فإن الواقع يقتضينا أن ننبه إلى حقيقة أخرى وهي أن آفاق الحديث عن أهمية قبول الآخر في الحضارة المعاصرة (بمعنى محدد هو الإسلام) قد ازدهرت بصفة خاصة بعد وقوع أحداث ١١ سبتمبر ، مع أن الإسلام نفسه كان سباقاً إلى إرساء الأسس الكفيلة بقبول الآخر .

ونحن جميعًا نعرف أن نصوص القرآن الكريم تحفل بالتنبيه على أهمية التنوع بين طبائع الناس وانتماءاتهم ومصالحهم، كما تحفل بالإشارة إلى الحكم الإلهية العديدة من هذا التنوع، وإلى إرادته – سبحانه وتعالى– أن تكون الإنسانية على هذا النحو.

ويكفي في هذا الإشارة إلى نصوص بعض آيات القرآن الكريم التي تدلنا على حكمة بالغة يمكن الوصول إليها عبر مفهوم المخالفة لنكتشف مدى العبث الذي تقوم به كثير من الأنظمة – أو قامت به في الماضي – من أجل ما تظن أنه تحقيق للمساواة حين فرضت أو تفرض علي المواطنين ظروفًا تجعلهم نسخًا كربونية من بعضهم، وهو ما سبق القرآن الكريم أيضًا إلى التحذير من مغبته ، حين تحدث عن هذا السلوك.

ولابد أن نعترف أن هذا العبث كان بمثابة السبب الدفين والخفي وراء معاناة بعض الشعوب الإسلامية – اليوم– من كثير من العقليات السياسية والعسكرية الجامدة التي تظن الصواب مرتبطًا بالأسلوب المقيت الذي لا يتيح التميز ولا التمايز، ويسعي بجهد حثيث إلى فرض ظروف الأغلبية على الأقلية في أي تجمع من التجمعات.

٣

ومن المدهش أننا لا نستطيع أن ننكر أن العقليات العربية المعاصرة (بما فيها عقليات كثير من التربويين) لا تزال تعاني من مثل هذا التفكير النازع إلى الشمولية حتى في مناهج التعليم ومساراته، على نحو معروف: وليس في حاجة إلى تعداد الأمثلة عليه .

وفي اعتقادي أن مثل هذه الأنظمة الجانحة إلى الشمول هي أكبر تهديد لقيمتين متكاملتين حتى وإن بدتا للناس اليوم متناقضتين :

- قيمة الولاء.
- قيمة قبول الآخر.

من حسن حظ العقلية الإنسانية التي رزق الله بها البشر أن فكرة الولاء تتقوى وتتدعم

بوجود الآخر فالإنسان - أي إنسان - لا يحس إحساسًا كاملًا بانتمائه إلا بوجود مَنْ لا ينتمي إلي ما ينتمي هو إليه.

ولا أتجاوز إذا قلت إن الإحساس بالانتماء للدين الإسلامي يكون أقوى في المجتمعات التي تضم مواطنين أو زوارًا يعتنقون أديانًا أخرى، على حين أن هذا الإحساس لا يبلغ القدر نفسه في المجتمعات التي لا يدين أفرادها بغير دين الإسلام.

وفي داخل الدين نفسه فإنه في المناطق التي يسود فيها مذهب فقهي معين إلى حد أن يتمذهب به المجتمع كله، تجد أبناء هذا المجتمع وكأنما لا يعني انتماؤهم لهذا المذهب شيئًا ذا بال، على حين يختلف الحال مع الذين يعرفون المذاهب الأخرى فيحسون بولاء فقهي وولاءات ثقافية أخري مصاحبة للمذهب الذي يتبعونه.

٤

لعلي بهذه المقاربات المتشعبة (وأمثلتها الشبيهة التي ذكرت الكثير منها في كثير من كتبي وكتاباتي) قد استطعت تصوير حقيقة أن «وجود الآخر» في حد ذاته كفيل بأن يقوي من الشعور بالانتماء. لكن هذا بالطبع يتوقف أساسًا (بل بصورة كلية)على إنسانيتنا وإحساسنا بالإنسانية .

على أننا جميعًا ندرك أن الوسائل الإنسانية في تعميق الانتماء قد تجنح في كثير من الظروف (بسبب افتقاد الحكمة وربما بسبب افتقاد النوايا الحسنة) إلى الناحية الخطرة من التعامل مع الآخر وهي محاولة نفيه..

وربما تجنح هذه الوسائل الإنسانية إلى هذا النفي بعد محاولة فاشلة لضم الآخر، وجعله ينتمي إلى ما ينتمي إليه الإنسان، وذلك على سبيل المثال هو ما حدث على مدى التاريخ في سياسات التبشير الإجبارية التي لم تحقق عُشر معشار ما حققته (في المقابل) الدعوة إلى الإسلام من خلال التعامل به في مجالات التجارة والحياة اليومية.

وفي الحالين فإننا سرعان ما نواجه بموقف إنساني له انعكاساته التربوية الحساسة والخطرة، وربما لا ندرك أن هذا الموقف الإنساني لا يحدث من تلقاء نفسه وأنه لا يحدث في واقع الأمر إلا نتيجة وجود تشوهات قاتلة في النظام التربوي والتعليمي ، وغالبًا ما تكون هذه

التشوهات غير مقصودة لم ينتبه إليها المسئولون عن هذين النظامين في الوقت المناسب.

٥

وربما أن خير تصوير لهذا الوضع «الإنساني» الحرج هو أن نقول إن هذه الأمراض لا تنشأ في الواقع التربوي إلا كما كان مرض البلاجرا ينشأ عند البحارة حين كانوا يحرمون من الفيتامين الموجود بكثرة في الفواكه والخضروات الطازجة فإذا اعتمد طعامهم وغذاؤهم على الأطعمة الجافة والمجففة لفترة طويلة، وخلا الغذاء «الوارد» الذي يتعاطاه الجسم من هذا الفيتامين أصبح الطريق ممهداً لأن تنشأ أعراض ناشئة عن نقصه، وهي أعراض خطيرة.

ويحدث مثل هذا أيضًا في أولئك الذين يعانون من نقص اليود في طعامهم نتيجة وجودهم في بيئات تفتقر إلى وجود هذا العنصر الأساسي والضروري لوظائف حيوية، وتكون النتيجة ظهور أعراض مرض خطير، لكن العلم ينبأنا أن هذه الأعراض سرعان ما تزول عند العودة إلى تناول اليود في الطعام. والأمثلة على هذا كثيرة..

ولكن وجه العبرة في الموضوع أننا قد لا ندرك السبيل إلى العلاج إلا بعد أن تكون الأمراض القابلة للشفاء قد تطورت إلى أمراض غير قابلة للشفاء..

وربما كان هذا هو جوهر الخطر فيما تعانيه بعض أساليبنا التربوية الحالية من عيب خطير فيما يتعلق بمبدأ «قبول الآخر».

ومع أن تاريخنا الإسلامي حافل بالأمثلة الكفيلة على إمكانية التعدد وقبول الآخر، فإننا نحرص عند تدريسه على اللجوء إلى المصادر التي تجعل الآخر «شيطانًا» على الدوام وتجعل كل أعماله بالتالي «رجسا من عمل الشيطان».

٦

لكل هذه الأسباب فقد كنت على الدوام حفيا أشد الحفاوة بأن نوجه قدرًا كبيرًا من اهتمامنا التعليمي والتربوي إلى دراسة تاريخ الحركات الوطنية على أساس أكاديمي صحيح بعيدًا عن نزعات الأيديولوجية.

ولا أزال أؤمن كل الإيمان أن تشبع الطلاب بقيم هذه الحركات الوطنية سوف يكفل تنمية فكرة قبول الآخر بما لا يمكن أن تتكفل به أي مناهج أخري توضع خصيصًا لهذا الغرض.

وربما أنتقل الآن مما هو وطني وقومي وتاريخي إلى ما هو ديني، ومن حسن الحظ أيضًا أن الحضارة الإسلامية عرفت تعدد المذاهب الفقهية دون أن يعني هذا أي نوع من التقسيم أو الانعزال.

وليس أدل على هذا من أن الباحثين الذين أعدوا تقرير الحالة الدينية الذي صدر عن مؤسسة «الأهرام» منذ سنوات قليلة، وجدوا مشقة كبيرة في الحصول على المذهب الفقهي الذي كان كل شيخ من شيوخ الأزهر يتبعه، ولم يساعدهم على هذا إلا البحث في أسماء مؤلفاتهم الفقهية التي علقوا بها على كتب مرجعية معروفة في المذاهب المختلفة..

بل إن ما هو أبلغ من هذا دلالة هو أنه على الرغم من إتاحة بعض هذه البيانات في التقرير فإنه يصعب حتى على الذين أعدوا التقرير نفسه أن يجيبوك من الذاكرة عن مذهب أي شيخ من شيوخ الأزهر إذا سألتهم عنه فجأة.

فالذاكرة لا تسعفهم بمثل هذا لسبب واحد وبسيط وموحٍ هو أن أحدًا من هؤلاء جميعًا لم يصبغ حياته ولا فكره ولا إنجازه ولا أداءه في منصبه كشيخ للأزهر بصبغة مذهبية.

وهذا من حسن الحظ بلا شك، بل هو فضل من الله لا نقدره حق قدره.

٧

وربما يدفعني هذا إلى أن أكرر هنا ما سبق أن ذكرته في مواضع كثيرة منها حديث تليفزيوني طويل أجراه معي التليفزيون السوري في ١٩٩٧م، وفيه ذكرت أن أسلافنا من مسلمي العصور الخوالي أوقفوا وقفًا خاصًا في الأزهر ينفق من ريعه على الطلاب الذين ينتظمون في دراسة أحد المذاهب الفقهية الأربعة، إذا ما تعرض مذهب من هذه المذاهب لانصراف الطلاب عن دراسته، وذلك من أجل الإبقاء على كل المذاهب الأربعة مدروسة على المستويين العلمي والأكاديمي.

ويندر بالطبع أن نجد في أية حضارة من حضارات الأرض هذا الوعي العميق والإيجابي (في نفس الوقت) بمثل هذه القيمة الرفيعة والتسامحية من قيم الإنسانية.

ومع هذا فمن الإنصاف أن نذكر أيضًا أن ندرك ونعلم علم اليقين أن حيوية الأزهر (في الماضي) كمؤسسة تعليمية تمثلت في حفاظه وبشدة على مناهج وتقاليد

كلاسيكية رفيعة المستوي في الفكر والتكوين.. ولم يأت هذا بالطبع بمحض المصادفة، ولكنه جاء نتيجة بناء المناهج بحكمة وباقتدار على يد شخصيات علمية وصلت إلى أقصى الحكمة بفضل العمل بالعلم (في ميادين مختلفة من القضاء والافتاء والتدريس والوعظ) طيلة نصف قرن على الأقل..

وربما أننا لا نعرف اليوم أسماء هؤلاء الذين يرجع إليهم هذا الفضل.. ولكن الفضل مع هذا يبقي بارزًا وشامخًا ينادينا أن نستقي منه الحكمة، وأن نستقطر منه الخبرة، وأن نبني على ما بناه الأولون.

تعقيبات

محمد أمين:

يعود د. الجوادي ليعطي لقرائه بصيص أمل بان هناك من مازال يرى الأمور على حقيقتها ويشير لاتجاهات تصل بمتتبعها لوضوح بالرؤى. ولكن السؤال المحير ما موقف أستاذنا من نتيجة مؤتمر غروزني ومشاركة شيخ الأزهر.

هشام:

بالإضافة لاختراق الأنظمة السياسية للمذاهب وتسييسها بطريقة فاشية لضرب خصومها وتجهيل الشعوب الإسلامية وضربها ببعضها هناك عامل جد مهم و هو التطرف المضاد للإسلام و الإرهاب الذي يُمارس على المسلمين الذي يشجع الفكر المتطرف الذي يستمد شرعيته في الوسط العام من فكرة التحرر من المظلومية المشروعة لينتهي بقتل مسلمي المذهب الواحد والبيئة التي آوته كما حدث بعد غزو العراق. وبين المتطرفين المسلمين والمتطرفين المعادين للإسلام تتدحرج فكرة حتمية الصراع وعدم تقبل الآخر ككرة الثلج تبتلع فكرة الاعتدال والتعايش.

قبول الآخر:

في عصر الازدهار الإسلامي وقبوله بسعة ورحب ممن كانوا غير مسلمين وعلى أساسه انتشر وتوسعت آفاقه الفكرية الحضارية، لم يكن السبب مبنيًا فقط على قبول الآخر والسماع له مع احترام رأيه بل أيضا الأخذ منه بما لم يعارض القرآن وعليه أصبح العطاء له سهلًا ومقبولًا حتى قبل الكثير برحب وسعة الرسالة الإلهية المباركة. والآن نرى الأزهر ومؤسسات الإسلام في كل مكان تترك الساحة لمن ليس له، لا في الطين ولا في العجين، يعبث بكلمات الله وبسنة رسوله. الرقص والطبل والمزمار نجده كثيرًا في مساجد مصر. وهكذا تمكن الجهل وتوسع انتشاره.

Adel Ben Ammar:

الأستاذ المبدع محمد الجوادي في قراءة متميّزة للفكر السياسي الاسلامي.

ضياء طالب:

لي بعض ملحوظات: يكثر الحديث عن مصطلح «الفكر الإسلامي» ومشتقاته: نظريات ومنظرين، بينما الإسلام عقيدة مبنية على نص مقدس منزل من عند الذي خلق الكون بلفظه وهو القرآن الكريم، وآخر من لفظ الذي نزل عليه الأول وهي السنة المطهرة.

ثم الخلاف وقع بين المسلمين على وجهين: ثبوت النص وتفسير دلالته على الأحكام، ومرد هذا الاختلاف إلى الاختلاف راجع إلى القواعد.

ما أشرت إليه قام المسلمون بجمعه وتدوينه في عصر النبوة وبعد عصر النبوة، وكأي عمل مماثل وقع التدرج في الجمع (ما عدا النص القرآني الذي زال الخلاف فيه بمصحف عثمان - رضي الله عنه- ولم يخالف فيه بعد عثمان أحد غير الشيعة) والشرح والتقعيد لكل ذلك إلى أن وقع الاستقرار في المجموع من النصوص، وعرفت القواعد التي احتكم إليها الذين جمعوا تلك النصوص وحكموا بها عليها ثبوتًا ودرجة، وكذلك وقع الاستقرار في القواعد التي استند إليها الذين فسروا تلك النصوص وعرفت الأحكام المبنية عليها.

الالتقاء ممكن بين من يحتكم في إثبات النص وتفسيره إلى قواعد متشابهة، وإعذار بعضهم بعضًا متصور عقلًا، وواقع تأريخًا، وما وقع من شدة في القول أو الفعل مهما بلغت درجتها لا تمنع المتزنين من لجم المتشددين بالبيان والبرهان. غير أنه لا يمكن ألبتة تصور زوال الاختلاف بين المحتكمين إلى قواعد مختلفة في إثبات النص وتفسيره، ومن يطلب ذلك إنما يطلب محالًا يشهد التاريخ كله بخلافه.

Abe Abraham:

... وهذه هي المشكلة في آخر أربعين سنة . مع ارتفاع سعر البترول ووجود المال بكثرة في بعض الدول العربية حصل تغيير في تفكيرنا بسبب انتشار بعض المذاهب المتشددة جدًا، و باستعمال المال انتشرت هذه المذاهب انتشار النار في الهشيم . وأصبح ديننا الحنيف يهاجم في كل مكان . و يوجد أناس كثيرون أصبحوا يتهمونا بالعنصرية وأشياء أخرى كثيرة. وأخيرًا أقول ربنا يهدي.

العادة أقوى من الدين:

المصيبة أنه رغم تسامح رسولنا الكريم ولطفه وأخلاقه ومنهجه اللين إلا أنك تجد شعوبًا أصبحت العادة عندها أقوى من الدين تقول له الرسول فعل كذا وكذا، يقول لك الشيخ أفتى كذا وكذا !!! هل شيخك أهم من رسولك؟ هل عاداتك المتوارثة صارت أقوى من الدين ؟!!! طبعًا إذا ناقشه في الهندسة أو الطب أو الفضاء أو هندسة الجينات أو سلالات البشر والأحافير لا يرد عليك غير بحديث البدعة!!! كل شيء بدعة عندهم !!! وإذا اشتددت معه بالنقاش يبدأ بحديث الفرقة الناجية !!! نفسي أفهم هؤلاء لا يعرفون إلا التحريم والممنوع فما المسموح إذًا ؟

مسافر:

المسلمون ليسوا عرقًا ولا شعبا ولا قبيلة بل هم بشر من بني آدم بلغتهم الرسالة وتقع على عواتقهم مهمة إبلاغها ولا يمكنهم القيام بهذا الواجب إذا انعزلوا عن باقي البشر أو كانوا منفِّرين. أخوّة الإيمان هي رابط بين المؤمنين و ليست سدًا بينهم و بين غيرهم. شكرًا للدكتور الجوادي على الأمثلة التي أوردها و تدل على حكمة رب العالمين في التعدد.

نور:

السؤال :ماذا أراد الكاتب أن يقول؟ المقالة غامضة وتحتوي على كلمات وصيغ رنانة مثل تعددية، تيارات، انتماءات، مذاهب، شيطنة، أمراض تربوية... الخ، عوملت بدون أمثلة لكي ندرك من يقصد ويشير له. كذلك من يقصد بالآخرين وهل حقًا عند أهل السنة مشكلة بقبول الآخرين وفهم التعددية؟ والسؤال الثاني ما الغرض من الثناء على الأزهر؟ ألم يدخل المرض ثناياه واستسلم منذ زمن بعيد ليرضي السلطة الحاكمة. وعندما يقول مفتي الأزهر إن الأوربيين ذاهبون للجنة، أما آن أن أتساءل عما طرأ لعقل الحكيم أو على تغيير كل ما تعلمته من دين الإسلام.

أين التعاريف:

الجوادي يتحدث عن الإسلام وقبول الآخر، عن أي إسلام يقصده الجوادي، وما تعريف الآخر الذي هو إشكال الموضع.

جمال النهاوندي:

إني أنصح القارئ العربي المختلف فعلًا ألا يصدق عنوان المقال ويتحمس مثلي بل يقرأه كاملًا فإن أي زيارة لمدينة غير عربية تبين الاختلاف الحقيقي في الكون ، مئات الأديان والعروق ومئات الأنواع من التدين، تنوع في الجنس والميول الجنسية وكلهم يتعايشون بل يتزاوجون أما العالم العربي فهو ذكر وأنثى لا يختلطان وميل جنسي واحد وأديان ثلاثة لا تتخالط. لكل هذا فاكتم سرك واحبس نفسك فما زلنا بعد ألف سنة من الجدل الديني نبحث في قبول المذاهب الأخرى وأديان لا تختلف عن الإسلام إلا بتفاصيل قليلة.

خواطر مسلم عادى جدًا:

بسم الله الرحمن الرحيم... لا أعرف ما هو التنوع وقبول الآخر وكأن المطلوب من الإسلام أن يقبل بالنصرانية وكأنها فكرة مغايرة وليست على خطأ ... هكذا تمخض الجبل فولد فأرًا، وحاول الجوادي أن يكحلها فعماها ويبدوا أنه يريد أن يقنعنا بدين جديد سوف يتحدث عنه مستقبلًا هذا فيما يبدو ما يريد أن يدعو إليه ويبدو على العقلاء أن يتحسسوا مسدساتهم!!!!

❑

المحتويات

إهداء .....
هذا الكتاب ٧

الباب الأول
ملامح إستراتيجية جديدة

الفصل الأول: عصر الإستراتيجيات الانسيابية ١٢
تعقيبات ١٦
الفصل الثاني: هل انتبهت القوى الكبرى إلى جدوى العقل؟ ١٩
تعقيبات ٢٣
الفصل الثالث: هل قررت الولايات المتحدة الأمريكية إعدام الأمم المتحدة؟. ٢٥
تعقيبات ٢٩

الباب الثاني
الحرب والسلام

الفصل الرابع: للسياسة روح هي الحرب وحياة هي الدبلوماسية ٣٢
تعقيبات ٣٦
الفصل الخامس: حين يصبح الحل العسكري خيارا سلميا وحيدا..... ٣٨
تعقيبات ٤٢
الفصل السادس: حدود الصراع في الشرق الأوسط ٤٣
تعقيبات ٤٧

الباب الثالث

المراوحات الامريكية المبررة

الفصل السابع: أميركا تبحث عن قطبية جديدة في عصرها ٤٩
تعقيبات ٥٥
الفصل الثامن: خيارات التجاهل والتصعيد والتحايل في السياسة الدولية ٥٨
تعقيبات ٦٢
الفصل التاسع: الرؤى الغائبة في صراع الثورات المتضادة ٦٤
تعقيبات ٦٨

الباب الرابع

الشماعة الاسلامية

الفصل العاشر: لماذا يعلق الغرب إحباطاته في رقبة المسلمين ؟ ٧٢
تعقيبات ٧٦
الفصل الحادي عشر: ماذا تنتظر المجتمعات الإسلامية من الغرب المستنير ؟ ... ٧٨
تعقيبات ٨٤
الفصل الثاني عشر: الفكر الإسلامي وإشكاليات العصرنة ٨٦

الباب الخامس

مبررات غير كافية لقرارات غير مجدية

الفصل الثالث عشر: الأسلمة .. هل هي خطر حقيقي ؟ ٩٤
تعقيبات ٩٩
الفصل الرابع عشر: الحدود المقلقة للفكر الإسلامي المعاصر ١٠١
تعقيبات ١٠٥
الفصل الخامس عشر: التصورات الخطرة لعلاقات الفكر الإسلامي بالآخرين ١٠٧
تعقيبات ١١٢

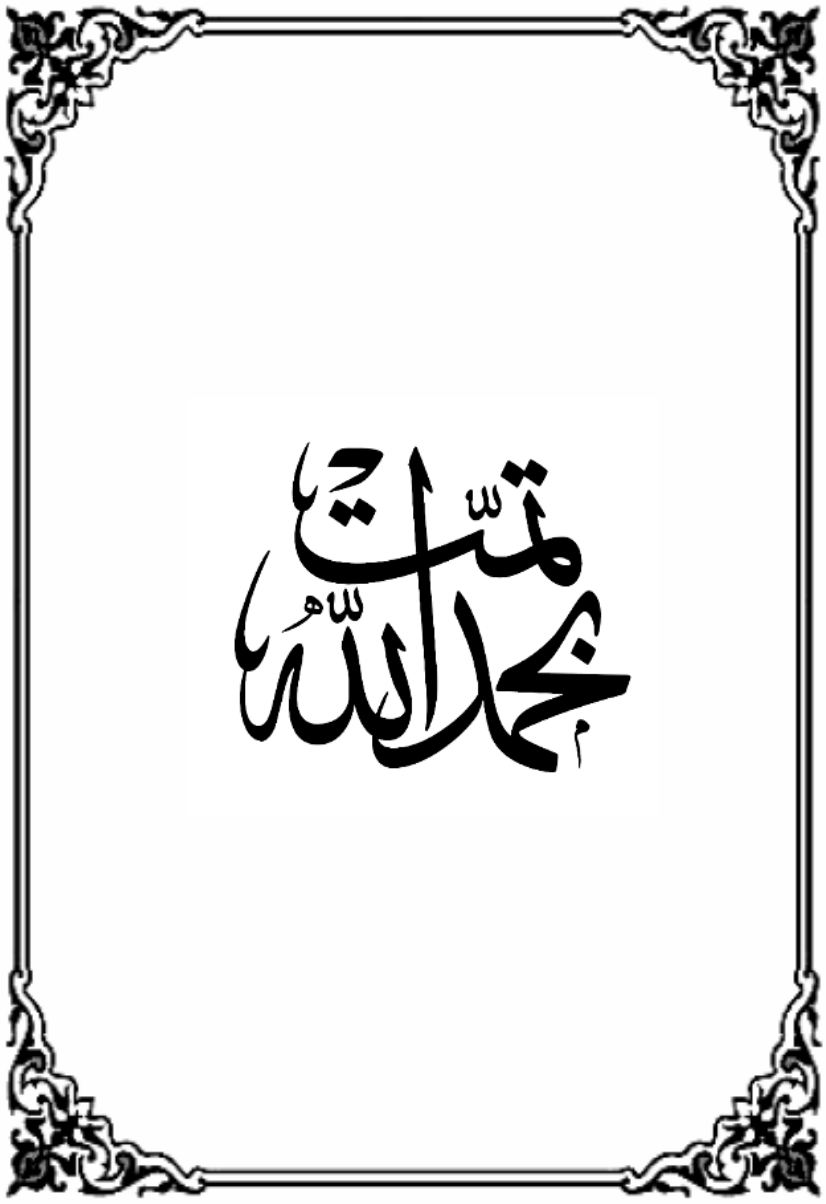
تمت بحمد الله

نقدم في هذا الكتاب مجموعة من الرؤى الأصيلة التي لم تعهدها أدبياتنا السياسية والاستراتيجية متاحة بهذا القدر من وضوح الفكرة ، وأصالة التاريخ . مفضلين أن نغرد في حرية هيأها لنا صباح الربيع العربي الباكر ويحميها نهاره الزاهر ولا يخفيها أو يخيفها ليله القصير. نستعرض في هذه الفصول الأسس المنطقية والتجارب الواقعية التي تتضافر على مساعدة الحضارة الانسانية على تجاوز دروب الطريق الملح في دعوته الأكثر إلحاحًا إلى تكرار مآسي الحروب الصليبية بصورة أو أخرى ، و نستعين في هذا الاستعراض المستقصي بكل ما يمكننا من أن نضيئ به طريق الآلام إضاءة تكفل الخلاص .

نناقش في فصول الباب الأول بعض الملامح الاستراتيجية الجديدة من خلال ثلاثة توجهات جديدة فارقة . وفي الباب الثاني نناقش جدلية الحرب والسلام لا من حيث هي ثنائية واجبة ولكن من حيث هما مكونان متكاملان. و ننتقل في الباب الثالث إلى مناقشة مدى صواب التحولات الأمريكية و تبريراتها ، وخيارات التجاهل والتصعيد والتحايل في السياسة الدولية، و الرؤى الغائبة في صراع الثورات المضادة المتضادة. ينطلق البابان الرابع والخامس إلى بيت القصيد في الصراع وهو الإسلام وحركته ونناقش فكرة " الشماعة الإسلامية من ثلاثة جوانب: لماذا يعلق الغرب إحباطاته في رقبة المسلمين؟ وماذا تنتظر المجتمعات الإسلامية من الغرب المستنير ؟ وما هي ملامح التوافق المجرّب مع المجتمعات الغربية وحياتها اليومية . أما الباب الخامس فيقدم ثلاثة فصول مهمة في إطار الحديث عن الأسباب التي دفعت الغرب إلى تبني قرارات سياسية غير مجدية من خلال التصورات الخطرة لعلاقات الفكر الإسلامي بالآخرين.

توب بريس
للطباعة والنشر والتوزيع
العنوان :16 زنقة كلكوتة ،الحي الرياض
toppress2@gmail.com